

الباب الرابع

ظهرت الكابرا... فانكشف المستور

الفصل السابع : الضربة التي وحدثت الجبهة

الفصل الثامن : وسقط القطاع كالثمرة الناضجة

الفصل التاسع : الجحيم فى الجفجافة

الفصل العاشر : مدق المهالك ومعركة الشرم

obeikandi.com

الفصل السابع

الضربة التي وضدت الجبهة

مقدمة - الضربة الجوية - اكتشاف المؤامرة - توحيد الجبهة غرب
القناة - إعادة تنظيم الأوضاع لتحقيق الاتزان الاستراتيجي للدفاع -
التعليق .

مقدمة :

في السابعة مساء ٣١ أكتوبر ، وبعد انقضاء ٢٥ ساعة على صدور الإنذار الانجلوفرنسي بوقف كافة الأعمال القتالية وانسحاب القوات المصرية والإسرائيلية إلى مسافة عشرة أميال غرب وشرق القناة ، وبعد أن مرّت ١٣ ساعة على انتهاء الزمن ، الذي حدده الإنذار للانصياع له ، بدأت الطائرات الانجلوفرنسية ضربتها الجوية المركزة ضد مطارات وعناصر الدفاع الجوي المصرية^(١) .

وكان الاتفاق طبقاً لبروتوكول سيفر ، يقضى بأن تتم هذه الضربة الجوية في الصباح ، إلا أن مارشال الجو دنيس بارنيت استصوب تأجيلها للمساء ؛ حيث لا تملك مصر طائرات مقاتلة ليلية تستطيع اعتراض الطائرات الانجلوفرنسية . وقد صدق الجنرال تشارلز كيتلي القائد العام لقوات الغزو على هذا التأجيل ، الذي ملأ صدر بن جوريون بالشك بأن حليفه قد نكصا عن أداء دورهما المتفق عليه في بروتوكول سيفر طبقاً لعهود التواطؤ ، فأصدر أمره إلى الجنرال ديآن في صباح ٣١ أكتوبر بوقف عملية قادش لغزو سيناء ، وسحب جميع القوات الإسرائيلية داخل الحدود^(٢) .

إلا أن ديآن كان أكثر ثقة من رئيسه في صدق عزيمة الحليفتين على القيام بدورهما في

العدوان الثلاثي لما لهما من مصالح ذاتيه فيه ، ولهذا راح يماطل ويؤجل حتى وقعت الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، فاطلق العنان بعدها لقوات إسرائيل لتواصل الزحف ، ثم راح يستحث الألوف سمحوني ومرؤوسيه على مداومة الهجوم بكل شدة ، وعلى جميع المحاور لدحر القوات المصرية ، ولسرعة الاستيلاء على شبه الجزيرة حتى مشارف قناة السويس غرباً ورأس محمد جنوباً^(٣) .

ولقد ترتب على هذه الضربة الجوية الأنجلوفرنسية أن بدأت مرحلة جديدة من حرب العدوان الثلاثي على مصر ، تحول فيها اهتمام الزعامة السياسية والقيادة العسكرية المصرية من التركيز على الأعمال القتالية في سيناء إلى الاستعداد لمواجهة الغزو البحري الأنجلوفرنسي الذي لم يعد الرئيس عبدالناصر يشك في قرب وقوعه^(٤) .

وقد اختلف تأثير الضربة الجوية الأنجلوفرنسية على تصرفات وردود افعال العالم عامة ، والعرب ودول الحياذ الإيجابية وعدم الانحياز على وجه الخصوص ؛ إذ ثار الضمير العالمي على تلك الدولتين الكبيرتين اللتين هبطتا إلى مستوى الاعتداء على دولة صغيرة لم ترتكب ما يبرر العدوان عليها ، عندما استعادت قناتها من يد الإمبريالية التي استغلتها لصالحها طيلة قرن من الزمان وحرمت مالكها الأصلي من ثمراتها وحقوق ملكيتها ؛ حتى صارت الشركة الفرنسية التي تديرها دولة داخل الدولة . أما أستراليا ونيوزلنده وجنوب أفريقيا فكانت تصرفاتها في الأمم المتحدة تكشف عن موافقتها على ذلك العدوان^(٥) .

كما اختلفت الآراء أيضاً إزاء الإجراء الأمثل لمواجهة العدوان الأنجلوفرنسي ، بعد أن كشف عن أنيابه ، فكانت الغالبية العظمى من المصريين وراء الرئيس عبدالناصر الذي أعلن عزمه على الصمود والقتال حتى النهاية ، على نحو ما ظهر جلياً في خطابه يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ من فوق منبر الجامع الأزهر الشريف ، عندما ردد وراءه شعب مصر عن بكرة أبيه القول : ' لسوف نحارب ونتصمر ونبنى بلداً وتاريخاً ومستقبلاً ، ولن نستسلم أبداً وفي صدورنا نفس يتردد '^(٦) .

إلا أن القلة الضئيلة كان لها رأى مخالف ؛ إذ اجتمع وفد من قدامى الساسة برئاسة وزير الداخلية السابق سليمان حافظ بحديقة مجلس الوزراء ؛ ليتصحوا الرئيس عبدالناصر بالتسليم فرفض الاجتماع بهم وأنذرهم بالقبض عليهم إن لم يسارعوا بالانصراف فوراً^(٧) .

وكان مثيراً للدهشة والأسى أن يتردد نفس الصدى بين فردين من مجلس قيادة الثورة المنحل ، بعد أن هرع أعضاؤه إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة ، عقب وقوع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ؛ حيث نصح الرائد صلاح سالم بأن يقوم الحاضرون بتسليم أنفسهم لسفير المملكة المتحدة بمصر ، السير همفري تريفيان ، وأيده اللواء محمد عبد الحكيم على عامر ؛ خشية أن يتعرض الشعب للأهوال والكوارث ، التي سوف ياتي بها الغزو البحري الأنجلوفرنسي المتوقع ، إلا أن باقى الموجودين أعربوا عن اعتراضهم الشديد على تلك الروح الانهزامية التي لا مبرر لها ، وأكدوا أنه من الأشرف للجميع أن يبذلوا أرواحهم فى مقاومة المعتدين ، عن أن يلقوا سلاحهم ساعة الخطر ؛ فيجلبوا لأنفسهم الخزي والعار الذى يبقى أبد الدهر (٨) .

الضربة الجوية :

وجاءت غالبية الطائرات المغيرة من السلاح الجوى البريطانى ، تصحبها بعض الطائرات الفرنسية بما بلغ جملته ١٩ سرباً ، فركزت القاذفات القادمة من مطارات مالطه وقبرص موجتها الأولى على مطارات غرب القاهرة وأنشاص و « أبو صوير » وكبريت . وقبل أن ينتصف الليل كان المارشال بارنيت قد أتم دفع ثلاث موجات من القاذفات ، ألقت قنابلها من الأنواع الطرقية والتأخير الزمنى التي ظلت تنفجر تباعاً طول الليل (١٠) .

وقد استعانت طائرات الفالينانت ذات المحركات الأربعة القادمة من مالطة ، والكابرا ذات المحركين القادمة من قبرص بالمشاعل المزودة بالمظلات التي ألقتها طائرات تحديد الممرات الجوية ؛ لتهميئ تلك القاذفات فرصاً أفضل لإحكام تصويب قنابلها على أهدافها المنتخبة .

وعندما انبلج ضوء الصباح ، أقلعت الطائرات من فوق سطح الحاملات ألبسيون وبولوارك ، وأرك رويال ، تصحبها المقاتلات القادمة من مطارات قبرص لحراستها ، وبمجرد أن وصلت فوق المطارات المصرية راحت تقذف الطائرات الموجودة حول الممرات بصواريخها ومدافعها وقنابلها ، والتي لم يكن قائد القوات الجوية والدفاع الجوى قد بذل الجهد الضرورى لوقايتها أو نشرها (١٢) .

ثم استمرت موجات الضربة الجوية تغيير على الأهداف المصرية طيلة يومى ٢ ، ٣ نوفمبر ، بينما تعرضت قوات سيناء وهى ترتد نحو القناة لغارات جوية من الطائرات

الفرنسية المقاتلة القاذفة المتمركزة في إسرائيل ، علاوة على المقاتلات القاذفة الإسرائيلية ، التي راحت تتعقب الأرتال المتحركة على طرق ومحاور سيناء ، وتمطرها بالقنابل وبخزانات النابالم التي أوقعت بها خسائر شديدة جداً (١٣) .

ونجحت إحدى الغارات في تدمير هوائيات الإرسال الرئيسية بأبي زعبل ، قبل أن يلقي الرئيس عبدالناصر خطبته من فوق منبر الجامع الأزهر بساعة واحدة ظهر يوم الجمعة ٢ نوفمبر ، فتوقفت الإذاعة المصرية عن الإرسال ، لتنتقل إذاعة دمشق على الفور بالنداء ' هنا القاهرة ' على نحو ما سبق ذكره .

وبانتهاء يوم ٣ نوفمبر ، كتب الجنرال كيتلى في سجل الحرب يقول إن مهمة شل وتدمير القوات الجوية المصرية قد تمت بنجاح . وقد صدرت التوجيهات للمارشال الجوى بارنيت بتحويل غالبية المجهود الجوى الأنجلوفرنسى من ضرب المطارات وعناصر الدفاع الجوى المصرى إلى الأهداف العسكرية الأخرى (١٤) .

وكان اللواء محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية قد أخطر القائد العام - فى الساعة السادسة صباح ١ نوفمبر - أن قواته لم تعد قادرة على مواصلة القتال ضد القوات الإسرائيلية فى سيناء ؛ نظراً لتدمير المطارات خلال الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، فضلاً عن وجود عدد كبير من القنابل الزمنية التى تعوق جماعات الإصلاح والنجدة عن العمل (١٥) .

وفى ضوء هذا الموقف ، أصدر القائد العام أمره فى السادسة وخمس وأربعين دقيقة صباحاً بوقف نشاط القوات الجوية المصرية ، وسرعة إخلاء المطارات ، ونقل ما بها من طائرات سليمة خارج الجمهورية ، مع إعطاء الأسبقية لإخلاء قاذفات القنابل الاليوشن - ٢٨ ومطارات منطقة القناة (١٦) .

وقد أرسلت الاليوشن إلى مطار الأقصر ، والميج إلى عدة مطارات خلفية . ولم تكن نتائج الضرب الليلي حاسمه وإن نجح فى تعطيل العمل بأكثر المطارات ، إلا أن نسبة إصابة الطائرات حتى بزوغ الشمس كانت ضئيلة (١٧) .

ولكن المقاتلات القاذفة الأنجلوفرنسية سرعان ما جاءت لتضرب مطارات الماطه و«ابوصوير» وكبريت وفايد وغرب القاهرة وأنشاص ، وبلبيس المخصص للكلية الجوية ، ثم استمرت الطائرات تغير على تلك الأهداف طول النهار ، وبفواصل زمنية قصيرة ،

وقد تعرّض بعض تلك المطارات لأكثر من ٥٠ غارة في ذلك النهار ، أصابت غالبية الطائرات الرابضة فيه (١٨) .

وفي نفس هذا اليوم ، هاجمت المقاتلات القاذفة الفرنسية بعض قطع الأسطول المصرى خارج ميناء الإسكندرية ، وفشلت في إصابتها رغم استمرار قصفها لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة (١٩) .

كما قامست بمهاجمة ناقلة الجند عكا داخل البحيرات المرة ، وفشلت في إصابتها أيضاً (٢٠) .

وخلال ليلة ١ / ٢ نوفمبر عادت الكانبرا والفايانت لمهاجمة القواعد الجوية والمطارات مرّة أخرى ؛ فقصفت مطار الأقصر ، دون أن تنجح في إصابة القاذفات الاليوشن - ٢٨ الموجودة به (٢١) .

إلا أن غارات الصباح التالي أوقعت خسائر كبيرة في تلك الطائرات ، وجعلت القواعد الجوية والمطارات غير صالحة للعمل لفترة طويلة من الزمن (٢٢) .

وحتى تلك اللحظة لم يكن العدو قد اهتدى بعد إلى مكان القاذفات الاليوشن التي كانت تستعد للإقلاع من مطار الأقصر للخارج . ولكن ضعف الخدمة الأرضية ونقص الطيارين عطّل إقلاعها حتى صباح يوم ٣ نوفمبر ، عندما اكتشفتها الطائرات المعادية أخيراً فضربت القسم الأخير منها ، بينما كان ينتظر عودة الطيارين الذين أقلعوا بالقسم الأول إلى مطارات المملكة العربية السعودية فحطمت ١٨ طائرة اليوشن ، كانت تقف قرب الممر على أهبة الاستعداد للإقلاع (٢٣) .

ثم تحول المجهود الجوى الأنجلوفرنسى إلى ضرب أهداف جديدة ، فركز الضرب اعتباراً من ظهر يوم ٣ نوفمبر على معسكرات القوات المسلحة في الهاكستب والعباسية والمناظرة وغرب القاهرة ، رغم أنها كانت خالية من الوحدات المحاربة (٢٤) .

وقرب العصر قصفت الطائرات عقدة المواصلات الحديدية في قرية نفيشه غرب الإسماعيلية لتشل حركة السكة الحديد في منطقة القناة . وخلال نفس اليوم ، نشطت طائرات الاستطلاع البريطانية في التقاط الصور الجوية لرأس شاطئ الغزو المنتخب في

بورسعيد ، كما بدأت منذ الصباح الباكر تركيز الغارات فوق المدينة ومرابض المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات التي تدافع عنها^(٢٥) .

وبانتهاء مرحلة التمهيد الجوى للغزو البحرى الأنجلوفرنسى مساء ٣ نوفمبر ، كتب الجنرال كيتلى فى سجل الحرب * إن مهمة شل وتدمير القوات الجويه المصريه قد تمت بنجاح ، ثم أصدر أوامره لمارشال الجو بارنيت لتحويل مجهوده الجوى من ضرب المطارات وعناصر الدفاع الجوى إلى الأهداف العسكرية الأخرى^(٢٦) .

وظل المارشال بارنيت يطلق قاذفاته لضرب عقد المواصلات الحديدية والطرق البرية ، وأرتال المدرعات والمركبات ، ومرابض نيران المدفعية ، والمعسكرات حول القاهرة ، ومنطقة القناة . وعندما أصدرت رئاسة الوزارة البريطانية أمراً بالاعتصار على القنابل زنة ٢٥٠ رطلاً فقط لتجنبّ ايقاع الضرر الشديد بالمدينين المصريين ، انصاع بارنيت على مضض ، بينما اعترض الجنرال هيوستوكويل القائد العام لقوات الغزو البرى ، قائلاً * انه ليس هناك مجال لمثل تلك العواطف ، عندما تكون رقبة المرء معرضة للقطع^(٢٧) .

وكانت الموجة الأخيرة التى أطلقها بارنيت فى نهاية الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ضد الإسكندرية لأغراض الخداع وجذب أنظار القيادة المصرية بعيداً عن شاطئ الغزو المنتخب ببورسعيد إلى منطقة الإسكندرية التى هاجمتها الطائرات الأنجلوفرنسية بشدة ليلة ٣ نوفمبر ؛ لتحقيق ذلك الغرض الخداعى المحض^(٢٨) .

وقد زعم مارشال الجو بارنيت أنه دمر ٢٦٠ طائرة مصرية وهى جائمة على أرض المطار ، وهو عدد يزيد عما كانت تملكه مصر فعلاً ، علاوة على هو معروف من نجاح ما لا يقل عن ٤٠ طائره فى الوصول سالمة إلى بعض مطارات الدول العربية الصديقة^(٢٩) .

اكتشاف المؤامرة^(٣٠)

صرح الرئيس عبدالناصر بعد العدوان الثلاثى بشهر أن الإنذار الأنجلوفرنسى ، وإن كان قد أثار دهشته وقلقه الشديد ، إلا أن بدء الضربة الجوية هى التى أفتنته بالتواطؤ الإسرائيلى الأنجلوفرنسى ؛ للقضاء على جيش مصر داخل الفخ الذى نصبوه له فى أعماق سيناء توطئة لإعادة احتلال البلاد ، بعد أن تكون قد فقدت الدرع الذى يحميها^(٣١) .

ولهذا فقد عجل بالتوجه إلى مبنى القيادة العامة الذى وصله فى الساعة الثامنة مساء ٣١

أكتوبر ؛ ليجد القادة مجتمعين في مؤتمر مشحون بالانفعالات ، وشرح لهم الرئيس عبدالناصر وجهة نظره ، التي كانت من الرضوح بما أقنع الجميع ؛ خاصة وقد كانت أصوات الانفجارات تدوى في الآذان ، وضجيج الطائرات النفاثة يهز حوائط المبنى (٣٢) .

وتلخّص رأى الرئيس عبدالناصر الذي ذكره لأعضاء المؤتمر فى الآتى : (٣٣)

١ - إن ثمة أموراً عسكرية غير عادية تجرى فى مسرح الحرب ، منذ صباح ٣٠ أكتوبر ، ترجّح الظن بأن إسرائيل ليست وحدها فى هذا العدوان .

٢ - إن أروقة مجلس الأمن والمجالس التشريعية بالمملكة المتحدة وفرنسا ، تشهد أنشطة دبلوماسية غريبة تثير شكوك المتتبعين لها بشدة .

٣ - إن بعض القطع البحرية للأسطولين البريطانى والفرنسى قد اتخذت أوضاعاً على مشارف المياه الإقليمية لمصر ، تفصح عن قرب فرض حصار بحرى على سواحلها .

٤ - إن الإنذار الأنجلوفرنسى الذى صدر مساء الأمس يجافى أبسط قواعد المنطق السليم ، بدعوته إسرائيل المعتدية إلى التقدم نيف ومائتى كيلومتراً نحو القناة ، تحت زعم مفضوح بالرغبة فى حماية القناة من أخطار الصراع المسلح الدائر على مشارفها . ثم يزداد الإنذار عريضة بالتهديد بضرب مصر - المعتدى عليها - واحتلال جزء من أرضها - منطقة قناة السويس - حتى ولو قبلت ذلك الإنذار الجائر على حقوقها وكرامتها .

٥ - إن الأجهزة الأنجلوفرنسية جنّدت جهدها لعرقلة أعمال مجلس الأمن ، الذى اجتمع بناءً على طلب مصر ؛ للنظر فى أمر العدوان الإسرائيلى عليها . وقد أظهرت تلك الأجهزة اتحيازاً كاملاً بجانب إسرائيل ، وصل إلى حد استخدام حق الفيتو مرتين متتاليتين ؛ لشل المساعى الحميدة لمجلس الأمن لوقف الاعتداء الإسرائيلى السافر على مصر .

٦ - إن قيام المدمرة الفرنسية كيرسان باعتراض الفرقاطة إبراهيم الأول فجر اليوم فى عرض البحر والضرب عليها بالنيران ، دون أى استفزاز من جانب الفرقاطة ، يكشف عن وجود نوايا خبيثة فى جعبة فرنسا ضد مصر .

٧ - إن الحملات الدعائية الظالمة التي تطلقها أجهزة الإعلام الأنجلوفرنسية ضد مصر قد تجاوزت الحدود .

٨ - إن أجهزة المخابرات المصرية ومصادر المعلومات الدبلوماسية بالخارج ، ترجّح اشتراك المملكة المتحدة وفرنسا في عمل عدواني تبدأه إسرائيل ضد مصر كذريعة للتدخل الأنجلوفرنسي .

وأجمعت الآراء على أن الموقف لم يعد يجيز استمرار دفع القوات المسلحة داخل اعماق سيناء ؛ حتى لا يحدث فراغ استراتيجي في قلب الدولة ، كما وجدوا أيضاً أن الوضع العسكري في مسرح الحرب أصبح يستلزم سرعة إجراء تغيير حاسم لاستعادة الاتزان الإستراتيجي ، وتأمين منطقة قناة السويس ضد احتمالات الغزو ، لاسيما وأن تلك المنطقة لا تملك من القوات ما يكفي لمقابلة عملية حربية معادية كبرى .

وكان الحل العاجل هو نقل الجهد الرئيسي للقوات المسلحة إلى غرب القناة ؛ لتوحيد الجبهة المصرية هناك^(٣٤) .

وكان ذلك هو نفس ما انتهى إليه تقدير الموقف الذي قام به أحد أفضل المفكرين العسكريين ، وهو العميد أركان حرب محمد حافظ إسماعيل ، رئيس أركان القيادة العربية المشتركة ، ومدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة ، والذي ختمه بالخلاصة التالية^(٣٥)

١ - إن الضربة الجوية الأنجلوفرنسية تهدف إلى انتزاع السيادة الجوية على سماء مصر .

٢ - إن العدوان الإسرائيلي يستهدف استدراج القوات المصرية الرئيسية داخل أعماق سيناء .

٣ - إن غزواً بحرياً أنجلوفرنسياً سوف ينزل على شاطئ بورسعيد ، ليجتاح ضفتي قناة السويس ، ويقطع جيش مصر في سيناء عن قواعده بالوادي .

٤ - إن الموقف أصبح يتطلب إجراء سريعاً لنقل الجهد الرئيسي للقوات المسلحة إلى جبهة القناة .

توحيد الجبهة غرب القناة^(٣٦)

وفي الساعة العاشرة مساء ٣١ أكتوبر انتهى اجتماع الرئيس عبد الناصر بالقيادة العسكرية ، وأصدرت القيادة العامة توجيهات عمليات ، تلخصت في الآتي :

١ - نقل المجهود الرئيسي للقوات المسلحة إلى غرب قناة السويس ، بهدف التمسك بمنطقة بورسعيد - الإسماعيلية - السويس ، على أن يتم ذلك قبل اول ضوء ٢٠ نوفمبر .

٢ - تخلى القوات المسلحة شبه جزيرة سيناء إخلاء تاماً ، وتعود إلى الضفة الغربية للقناة ، كما تتخذ الإجراءات الفورية لسحب القوات التي تدافع عن قطاع غزه ورفح والعريش وشرم الشيخ والقوات المدرعة ، واحتياطيات القيادة الشرقية .

٣ - تنتقل الفرقة ٤ المدرعة والمجموعة الثانية المدرعة إلى غرب القناة ؛ لتوضع في الاحتياطي الاستراتيجي للقوات المسلحة .

٤ - تقتصر أعمال الدفاع الجوي على المدفعية المضادة للطائرات وتدابير الدفاع الجوي السليبي .

٥ - تنقل الطائرات إلى المطارات الجنوبية ؛ توطئة لإخلائها إلى قواعد جوية صديقة خارج الجمهورية .

٦ - تقتصر أعمال القوات البحرية على تنظيم الدفاع الساحلي في البحر المتوسط وخليج السويس ، مع القيام بدوريات استطلاع بحري داخل المياه الإقليمية .

٧ - تنظّم قوى النضال الشعبي المسلّح تحت إشراف الجبهات والمناطق العسكرية ، وتركّز جهودها للدفاع عن المدن والقرى لآخر طلقة .

وقد بدأ تنفيذ تلك التعليمات ، حيث راحت قوات سيناء تتخلّص من القتال تحت أشد الظروف المعاكسة ، وترتد على طريقين معرضين تماماً لغارات العدو ، لاتتعدى سعة كل منها الرتل أو الرتلين على الأكثر ، وتحف بهما الكثبان والرمال الناعمة التي لا تصلح للسير عبرها ، وتكثر بالطريق المضائق وأعناق الزجاجة التي تعتبر أرض قتل مثالية لطائرات العدو ، فإذا ما نجحت في الوصول إلى القناة فلن تجد سوى كوبرى واحد وبعض المعديات القليلة ؛ لتعبر إلى الضفة الغربية ، وهي شديدة التعرض للغرق داخل القناة بفعل قنابل العدو .

وكانت أبرز نقاط الضعف فى عملية إخلاء شبه جزيرة سيناء من القوات المسلحة الآتى : (٣٧)

١ - عدم توفر جماعات النسف المدربة على تدمير المستودعات الرئيسية فى مناطق الميدان والبردويل ووادى غزال ؛ مما تركها لقمة سائغة للعدو بما فيها من مخزونات كثيرة .

٢ - ضعف ضبط وربط التحركات على طريقي الانسحاب وخاصة عند المضائق والمعابر ؛ مما كان له تأثير شديد على تدفق التحركات غرباً ، وتسبب فى وقوع خسائر كثيرة فى الأفراد والأسلحة والمعدات دون داع .

٣ - إهمال بعض القادة تنظيم انسحاب قواتهم ؛ طبقاً للأسلوب المعتمد ، وترك القليل منهم وحداته ، وانطلق نحو الإسماعيلية أو القاهرة منفرداً ، أو مع بطانته الأثيرة لديه ؛ مما ترك الجنود فى حالة ارتباك وشعور بالضيق .

٤ - عدم استغلال ساعات الظلام على الوجه الاكمل فى تنفيذ تحركات الانسحاب ؛ بهدف الحد من الخسائر المترتبة على الغارات الجوية إلى أقل قدر ممكن ، وكان كل ذلك بمثابة الجرثومة التى ظل يستفحل ضررها ، حتى صارت وباءً فى جولة صيف ١٩٦٧ ، قضى على الأخضر واليابس .

أمّا حاميات قطاع غزة ، ومنطقة خليج العقبة ، فقد حالت الاعتبارات السياسية والطوبوغرافية دون سحبها ؛ فظلت فى أماكنها حتى وقع أغلبها فى الأسر .

إعادة تنظيم الأوضاع لتحقيق الاتزان الاستراتيجى للدفاع^(٣٨)

استعداداً لانتقال قوات سيناء إلى غرب القناة ، أعيد تقسيم القطاعات الدفاعية داخل المثلث الحيوى بورسعيد - السويس - العباسية ، وجهزت الخطط لاحتلال الدفاعات لمقابلة الغزو البحرى المنتظر ، والتحمت قوى النضال الوطنى بقوات الجيش ، وأخذت منطقة قناة السويس تتطور بسرعة كبيرة ، بهدف تحقيق الاتزان الإستراتيجى للدفاع عنها .

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٤ نوفمبر ، استقرت أوضاع الجبهة الجديدة على امتداد قناة السويس ، على الوضع التالى :

١ - تركيز الدفاع عن المدن والهيئات الحيوية وليس فى العراء ، مع توفير الكفاية الذاتية القتالية والإدارية لكل مدينة أو هيئة حيوية ؛ لتصبح جزيره دفاعية قادرة على المقاومة لمدة طويلة ، مع تزويدها بعناصر هجومية ، تستطيع شن الأعمال الهجومية المفاجئة ليلاً لشغل العدو، وإيقاع أكبر قدر من الخسائر بقواته ومعداته .

- ٢ - وقد قسمت جبهة القناة إلى قطاعين رئيسيين ، اشتمل الشمالي منهما على المنطقة الممتدة من بورسعيد حتى قرية فايد (داخل) ، بينما اشتمل القطاع الجنوبي على المنطقة من فايد (خارج) حتى بير عديب (داخل) .
- ٣ - كما جهز قطاع فرعى فى منطقة العباسة بمؤخرة الجبهة ؛ لمنع العدو من التقدم نحو القاهرة ، والعمل كقاعدة للدوريات بعيدة المدى فى اتجاه الإسماعيلية أو المطرية حسبما تسنح الفرصة .
- ٤ - واحتشدت حول القاهرة الفرقة الرابعة المدرعة ، والفرقتان الثانية والثالثة المشاة ، ووحدات من جيش التحرير الوطنى ، وقوات النضال الشعبى .
- ٥ - وانتقلت القيادة الشرقية من الإسماعيلية إلى الزقازيق خلف خط الدفاع الثانى ، كما أخليت القاعدة البريطانية بالتل الكبير من الأسلحة والمعدات ، ليستلح بها جنود القوات المسلحة وقوى النضال الشعبى؛ لمقابلة العدوان ودحره بأسلحته (٣٩) .

التعليق :

وقع فى ليلة الأحداث الجسيمة هذه حدثان كبيران ، هما الضربة الجوية الأنجلوفرنسية وقرار توحيد الجبهة المصرية غرب القناة ، وإذا كان الحدث الأول قد تأخر كثيراً عن مواعده المعتاد الذى يستهل به المهاجم هجومه ، قبل أن يدفع قواته البرية إلى المعركة ، وذلك بسبب إصرار الزعامة السياسية الأنجلوفرنسية على إخفاء التواطؤ والامتناع عن المشاركة السافرة فى العدوان ؛ حتى تخلق القيادة الإسرائيلية له الذريعة .. فإن الحدث الثانى - توحيد الجبهة - جاء فى وقته تماماً بفضل نجاح الزعامة المصرية فى كشف التواطؤ بمجرد سقوط القذيفة الأولى من الطائرات الأنجلوفرنسية على المطارات ، ومبادرتها إلى الاجتماع الفورى بالقيادة العسكرية لإصدار القرارات الصحيحة لمواجهة الموقف .

والواقع أن قرار توحيد الجبهة غرب القناة أنقذ قوات سيناء من موقف بالغ الخطر ، فيما لو استمرت فى مواقعها حتى نزول قوات الغزو الأنجلوفرنسى ، وقطعها خط الرجعة على تلك القوات على امتداد قناة السويس ؛ الأمر الذى لو تحقق كما كانت تأمل خطة العدوان لأصبحت عاصمة الدولة مفتوحة أمام قوات الغزو لتحتلها وقتما تشاء ، فضلاً عما كان سوف يترتب على انقطاع قوات سيناء عن قواعدها بالدلتا من أخطار جسيمة .

إلا أن سحب قوات سيناء وقطاع غزة لم يكن قراراً هيناً على الزعامة الساسية أو القيادة العسكرية ، رغم ضرورته وظروفه الملحة :

١ - ففى المحيط الدولى وعلى الصعيد العربى ، كان قراراً شاقاً على رئيس الدولة أن يتخلى عن قطعة من أرض الوطن ، ويترك قطاعاً عزيزاً على قلب كل عربى من تراب فلسطين .

٢ - وفى الإطار العسكرى لم يكن الانسحاب سهلاً من سيناء ، والقوات فى تلاحم مباشر مع العدو الذى يملك السيادة الجوية الخالصة فى سماء المسرح ؛ حيث تضطر القوات المنسحبة إلى الالتزام بالطرق القليلة وعبور المضائق الكثيرة ، التى تعتبر أرض قتل مثالية ، تستطيع قوات العدو أن تنزل بها أفدح الخسائر .

وزاد من خطورة مشكلة الانسحاب ما عمدت إليه قلة من قادة الوحدات بترك جنودهم والتعجيل بالعودة إلى الإسماعيلية والقاهرة ، على خلاف ما يقضى به العرف العسكرى بأن يلتصق القادة والضباط بجنودهم وقت الشدائد ، وأن يكونوا المثل الطيب لهم فى ضبط النفس ، ومواجهة الخطر بقلب مؤمن .

ولا تكتمل الصورة دون إلقاء الضوء على منطقة بورسعيد ؛ حيث توقع الجميع حدوث الغزو البحرى الذى عندما وقع فعلاً كشف عن أن قوات الحامية التى حشدت لمواجهة كانت صغيرة الحجم قليلة الكفاءة القتالية ، فضلاً عن أن التجهيزات الهندسية والموانع الشاطئية كادت أن تكون معدومة ، كما لم تجهز المدينة لاستمرار الصمود إذا ما نجح العدو فى احتلال مرافقها الحيوية ، رغم أنها كانت بالغة التعرض للاقتحام الجوى الراسى أو التدمير بسفن أساطيل الغزو وطائراته ، على نحو ما كشفت عنه الأحداث .

توثيق الفصل السابع

obeikandi.com

- (١) Op.Cit.: The Suez Expedition 1956, pp. 95-96.
- Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 180. وأيضاً :
- (٢) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٧ .
- Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 180. وأيضاً :
- Op.Cit.: Warriors At Suez, p. 382. وأيضاً :
- (٣) المصدر نفسه ، ص ١٢١ وأيضاً ١٣٦ ، ١٣٧ .
- Ibid, p. 179. وأيضاً :
- (٤) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٢٢ - ٢٨ .
- (٥) فوزى ، الدكتور محمود : حرب السويس ١٩٥٦ ، (القاهرة : دار الشوق ، ١٩٨٧) ، ص ١٠٤-١٠٧ .
- وأيضاً : المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٤٦-٥٤٧ .
- Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 564. وأيضاً :
- Op.Cit.: The Story of Suez, pp. 131-134. وأيضاً :
- (٦) جريدة الأهرام القاهرية ، عدد يوم السبت ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، خطبة الرئيس عبد الناصر بالأزهر الشريف .
- وأيضاً : مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر ، خطاب يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .
- (٧) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٤٥ .
- وأيضاً : المصدر السابق : مذكرات البغدادي (الجزء الأول) ، ص ٣٤٧-٣٤٥ .
- وأيضاً : حمروش ، أحمد : مصر والعسكريون - المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، الجزء الثاني ١٩٧٥) ، ص ١٠٦ .
- (٨) المصدر السابق : مذكرات البغدادي ، ص ٣٤٤-٣٤٥ .
- (٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثاني ، المجلد الثاني ، ١١١-١١٣ .

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 525–527. : وأيضاً :

(١٠) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

Ibid, Same, Pages.

Op.Cit.: Warriors At Suez, p. 393. : وأيضاً :

(١١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

Ibid, Same, Pages.

Ibid, Same, Pages.

(١٢) المصدر السابق : محفوظات إدارة القضاء العسكرى ، قضية الطيران ، مسلسل ١٢ ،
الملف الفرعى ٦٨/٤٩/١/٢٥١ .

(١٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ،
المجلد الثانى ، ١١١ .

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 527–530. : وأيضاً :

Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 180. : وأيضاً :

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 530. (١٤)

(١٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ،
المجلد الثانى ، ١١١ .

(١٦) المصدر نفسه - ص ١١١-١١٢ .

(١٧) المصدر نفسه - ص ١١٢ .

(١٨) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528–530. : وأيضاً :

(١٩) المصدر نفسه - ص ١١٢ .

(٢٠) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528. : وأيضاً :

- (٢١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .
- (٢٢) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .
- Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528. وأيضاً :
- (٢٣) المصدر نفسه - ص ١١٣ .
- (٢٤) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .
- (٢٥) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .
- Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 528. (٢٦)
- Ibid, p. 530. (٢٧)
- Ibid, p. 530. (٢٨)
- (٢٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثاني ، المجلد الثاني ، ١١٣ .
- (٣٠) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٣٣ .
- Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 531. (٣١)
- (٣٢) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٣٤ .
- Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 531. وأيضاً :
- (٣٣) نفس المصدر : ص ٥٣٤-٥٣٥ .
- Ibid, Same, Pages.
- (٣٤) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، توحيد الجبهة المصرية غرب القناة ، الجزء الثاني ، المجلد الأول ، ص ٢٨-٢٩ (نص القرار موجود في مجموعة الملاحق) .
- (٣٥) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية ، الملف رقم ٢١١٢/١ الموقف العسكري في شرق البحر المتوسط ، أميرالاي محمد حافظ إسماعيل .

- (٣٦) نص هذه التوجيهات موجود فى مجموعة الملاحق .
وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ،
الجزء الثانى ، المجلد الأول ، ص ٢٨-٢٩ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣١ .
- (٣٨) المصدر نفسه ، ص ٣١-٣٢ .
- (٣٩) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

الفصل الثامن

وسقط القطاع كالثمرة الناضجة

**مقدمة - معارك قطاع غزة - طبوغرافية الأرض - اوضاع القوات
بالقطاع - خطة الهجوم الإسرائيلية - ملخص معركة غزة - ملخص
معركة خان يونس - التعليق .**

مقدمة :

لم يكن في مسرح الحرب ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر من هو أسعد من الجنرال موشيه ديآن ؛ إذ تحققت كل أمانيه على أكمل صورة . فالقوات الأنجلوفرنسية قد بدأت الحرب ، وقد صرف دافيد بن جوربون النظر عن الأمر الذى أصدره فى الصباح بوقف القتال وعودة القوات إلى إسرائيل ، وقد تحطمت الطائرات المصرية أو رحلت خارج المسرح ، والأساطيل تقترب حثيثاً من شاطئ الغزو ، وقد أجبرت القوات المصرية فى المحور الجنوبى على الانسحاب من الكونتلا والتمدد ونخل ، بينما الألوف مشنيه شارون يستعد لاجتياح مضيق متلا .

وإلى جانب تلك الصورة المشرقة . . فقد كانت المجموعة ٣٨ عمليات فى طريقها إلى إحكام حلقة الحصار حول دفاعات أم قطف ، والمجموعة ٧٧ عمليات تهاجم بنجاح دفاعات رفح تحت ستر نيران الطراد جورج ليجوس الصديق ، وباقى جبهات الطوق العربى فى هدوء تام ، يفتح له المجال لتركيز الفكر والجهد كله على القتال الدائر فى سيناء .

وعاد إلى ذهنه ماسبق أن ضربه مثلاً لمرؤوسيه ، عندما كشف لهم عن خطة "قادش" الهجومية ، خلال اجتماعه بقسم العمليات بالأركان العامة الساعة الثانية عصر يوم ٢٥ أكتوبر ، فشبّه دور جيش إسرائيل فى العدوان القادم " براكب الدرجة الذى يصعد التل

ممسكاً بالعربة التى تصعد أمامه ، ولذلك فإن كل ما يمكن عمله بعد الهجوم الجوى الانجلوفرنسى ينبغى ألا نتعجل القيام به قبل ذلك^(١) .

ولما كانت تلك الضربة الجوية قد وقعت الليلة ، فلم يعد ما يمنع راكب الدراجة من أن ينطلق بها حيثما يشاء طبقاً للخطة المرسومة .

معارك قطاع غزة

طبوغرافية الأرض (٢)

١ - كأنما اصطبغ ثرى فلسطين باللون الأحمر لكثرة ما أريق عليه من دماء الجيوش ، التى اصطرعت فوقه فى معارك دامية منذ فجر التاريخ ففيما بين حملة تحوتمس الثالث فى مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وحملة الجنرال اللنبى فى مطلع القرن العشرين ، لم تهناً فلسطين بفترة سلام تزيد على النصف قرن . ثم إنها كانت البلد الوحيد الذى توالى ظهور واختفاء القبائل والهجرات فيه بأعداد ضخمة . ويؤكد السيرفلاندرز باترى شيخ علماء الاثار أن من يحفر بئراً فى فلسطين سوف يصطدم حتماً بثلاث عشرة حضارة غاربة .

٢ - وقطاع غزة الذى تبلغ مساحته ٣٨٠ كيلومتراً مربعاً ، عبارة عن شريط ساحلى ضيق يحده من الشمال والشرق خط الهدنة ، ومن الجنوب الحدود المصرية ، ومن الغرب البحر المتوسط ويتراوح عرضه بين ١٠,٥ كيلو مترات ، وتنتشر به الكثبان الرملية قرب ساحل البحر ، تليها أرض منبسطة غنية بحدائق البرتقال والفاكهة التى تحيط بها أسوار التين الشوكى الكثيفة ، وتدور حولها المدقات والدروب المتعرجة الضيقة بما يجعلها أشبه بأرض البوكيج فى إقليم الفلاندرز .

٣ - ويخترق القطاع من الشرق إلى الغرب عدد من الوديان الصغيرة والعميقة التى تندفق فيها السيول فجأة فى الشتاء ، كما تنتشر القرى فى السهل الممتد على أجناب الطريق الإسفلتى ، الذى يخترق القطاع من الجنوب حتى الشمال .

أوضاع القوات بالقطاع (٣)

١ - لم تكن اتفاقية رودس عام ١٩٤٩ تسمح بغير الهاونات والأسلحة الخفيفة فى

القطاع^(٤) . ولهذا فقد شكلت الفرقة الثامنة حرس حدود فلسطين فى إبريل ١٩٥٦ ، تحت قيادة اللواء يوسف عبدالله العجرودى من اللواتين ٨٦ قيادة العقيد على البورينى ، و ٨٧ حرس حدود فلسطين قيادة العقيد حسن حمدى ، واللواء ٢٦ حرس وطنى قيادة المقدم جمال الدين على ، وعدة بطاريات هاون ومدافع خفيفة مضادة للطائرات ، وبعض المدافع الساحلية ، وعناصر الهجانة .

٢ - وقسم القطاع إلى منطقتين دفاعيتين على النحو التالى :^(٥)

(أ) منطقة غزة - دير البلح فى الشمال ، حيث تمركز اللواء ٢٦ حرس وطنى فى جزيرتى غزة ودير البلح الدفاعيتين ، وفتح مركز قيادته داخل مدينة غزة .

(ب) منطقة خان يونس الدفاعية ، حيث تمركز اللواء ٨٦ حرس حدود فلسطين ، وفتح مركز قيادته بين الدرب السلطانى والسكة الحديد شمال بلدة خان يونس .

خطة الهجوم الإسرائيلية

١ - انقطعت السبل بقطاع غزة بعد استيلاء الألوف لاسكوف على دفاعات رفح بما جعل هجوم الألوف مشنيه أهرون دورون عليه بمجموعة اللواء ١١ المشاه أسهل مهمة قتالية فى معارك العدوان الثلاثى قاطبة .

٢ - فالقطاع الذى يناهز طوله من الشمال للجنوب ٤٥ كيلومتراً ومتوسط عرضه ٧ كيلو مترات يجعل اختراقه وتقسيمه إلى شرائح عملاً سهلاً ، خاصة وأنه محروم من الأسلحة الثقيلة والمدفعات بحكم اتفاقية رودس سالفة الذكر

٣ - فإذا أضفنا إلى ما سبق التأثير النفسى لما كان يحدث فى محاور سيناء الأخرى وقتئذ ، وما ترتب على الضربة الجوية الانجلوفرنسيه من تدمير الغطاء الجوى المصرى ، لأدركنا حقيقة المستوى المعنوى لهؤلاء الجنود ، الذين التفت حولهم قوات الأعداء من كل اتجاه بما فيه البحر ؛ حيث رفضت السفن الحربية الفرنسية تضرب رفح بمدافعها الثقيله تحت بصرهم وتأسر السفينة إبراهيم الأول على مشارف المياه الإقليمية .

٤ - وقد اشتملت خطة دورون الهجومية على ثلاث مراحل كالاتى :^(٦)

(أ) المرحلة التمهيديّة يومى ٣١ أكتوبر و١ نوفمبر ، ويتم خلالها عزل قطاع غزة من جهة الجنوب ؛ لمنع التجاء قوات مجموعة اللواء ٥ المشاة اليه .

(ب) المرحلة الأولى يوم ٢ نوفمبر ، ويتم خلالها الاستيلاء على مدينة غزة بالهجوم عليها بحركة تطويق من الجنوب والشمال بمجموعة اللواء ١١ المشاة المعزز بالدبابات ، بينما تقوم مجموعة اللواء الأول المشاة الجولانى بثبيت دفاعات خان يونس من جهة الجنوب .

(جـ) المرحلة الثانية والأخيرة يوم ٣ نوفمبر ، ويتم خلالها استغلال النجاح بالزحف من غزة نحو الجنوب ، واجتياح خان يونس بالتعاون مع هجوم ثانوى بقوات رفع من الجنوب .

ملخص معركة غزة (١٢.٥ ساعة فيما بين الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١ / ٢ نوفمبر . والساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٢ نوفمبر)^(٧)

بدأ العدو نشاطه الجوى فوق قطاع غزة صباح يوم ١ نوفمبر ؛ حيث راحت طائرات الموستانج تقصفه بعنف ، وتلقى عليه منشورات تدعو أهله إلى التسليم ؛ حتى لا يتعرضوا للقتل وتدمير الممتلكات ، كما أشتملت عدة نيران بالبلدة ، وقد تمكنت المدفعية المضادة للطائرات من إسقاط طائرتين وإسر أحد طيارها^(٨) .

وفى نفس الوقت ، كانت مجموعة اللواء ٥ المشاة قد أخلت دفاعات رفع ، وارتدت إلى العريش فتم عزل قطاع غزة ومحاصرته .

وبغروب الشمس وجهت مدفعية مجموعة اللواء ١١ المشاة نيرانها على مواقع غزة ، واستمرت تقصفها حتى الواحدة من صباح ٢ نوفمبر ، بينما كان الألوف مشنيه دورون بفتح قواته للهجوم^(٩) .

ومع أول ضوء ، أبلغ الرائد حسين مهدي قائد بطارية المدفعية الساحلية بساحل غزة عن وجود ١١ سفينة حربية أمام القطاع ، منها ٣ سفن بريطانية ، ومثلها فرنسية ، ومثلها إسرائيلية وسفيتين أمريكيتين ، طلبتا إجلاء الأجانب بالقطاع ، عن طريق مكتب هدنة

غزة ، ثم جاءت طائرات إسرائيل لتبدأ مع مدفعية الميدان ضرب النيران التمهيدية للهجوم ، التي استمرت بكثافة شديدة حتى السادسة صباحاً ، تقدمت على إثرها مجموعة قتال مدرعة للالتفاف حول موقع شاعر لمهاجمته من الجنب . ولما فتح الموقع نيرانه ، تحولت مجموعة القتال المدرع نحو موقع على المنطار ؛ بهدف الوصول إلى طريق غزة رفح وقطعه (١٠) .

إلا إنها اصطدمت بموقع أبو فريخ الذي تحتله سرية حرس وطني من ٦٥ فرد وقاذفين مضادين للدبابات ، وقد نجح هذا الموقع في تدمير دبابتين وعربة نصف جنزير ، فضلاً عن إيقاف الهجوم .

وفى نفس اللحظة تقدمت مجموعة الكتيبة الأولى المشاة من اللواء ١١ في عربات مدنية ؛ لتستغل نجاح مجموعة القتال المدرعة ، إلا أنها ظلت تنتظر ذلك لمدة ساعتين ، عندما تمكنت الدبابات من اقتحام موقع « أبو فريخ » حوالي الساعة الثامنة صباحاً ، بعد أن استشهد كل أفرادها عدا ستة من الجرحى الأحياء (١١) .

وتقدمت المشاة في عرباتها المدنية ؛ حيث ترجلت عند هذه المنطقة ، لتهاجم موقع شاعر من الخلف تحت ستر نيران الدبابات . وواصلت الدبابات الزحف ؛ لتهاجم موقع حامد المحتل بسرية حرس وطني من ٦٠ فرداً ، فنجحت في اقتحامه من الحركة ، ووصلت إلى محطة سكة حديد غزة حوالي التاسعة صباحاً .

واستمرت مجموعة الكتيبة الأولى المشاة تهاجم موقع شاعر من الخلف ، بينما المدفعية تصب عليه نيرانها الكثيفة ؛ حتى تمكنت من اقتحامه والتقدم نحو على المنطار مباشرة (١٢) . وبوصول دبابات مجموعة القتال المدرعة إلى مدخل غزة ، أمر قائد الدفاع عن المدينة بالاستعداد للقتال من منزل إلى منزل ، مع تكثيف الدفاع في شارع عمر المختار ودار الحكومة (١٣) .

وحاول العدو دفع داورية مدرعة داخل المدينة ، فلما اقتربت من مقر الحاكم العام ، أصيبت دبابتين واضطرت الداورية للرجوع من حيث أتت .

وفى الساعة الثامنة والنصف ، بدأت مجموعة الكتيبة الثانية المشاة الزحف بحذاء مستعمرة دمره لمهاجمة موقعي همام والكاشف . وتمكنت من تدمير مدافع الهاون الموجودة في موقع الكاشف بنيرانها ، ثم الاندفاع بين الموقعين للانضمام إلى القوة المتجهة نحو محطة

السكة الحديد . وفى طريقها إلى المحطة اقتحمت مقر قيادة الدفاع عن مدينة غزة فى موقع المزينى ، وفتحت الطريق الرئيسى إلى داخل المدينة (١٤) .

فى الساعة العاشرة صباحاً ، توجه المقدم بايارد كبير مراقبى الهدنة لمقابلة الألوف مشنيه دورون لوقف قصف المدينة حفاظاً على أرواح الأهالى المدنيين ، وعاد بايارد لينقل تهديد دورون إلى الحاكم الإدارى العام اللواء محمد فؤاد الدجوى بأن القوات الإسرائيلية والأسطول الفرنسى سوف يديكان المدينة بالقذائف حتى لا يتركها فيها حجر ، على حجر مالم يبادر الحاكم العام بتسليم المدينة عن طريق مراقبى الهدنة (١٥) .



اللواء محمد فؤاد الدجوى
الحاكم الإدارى العام لقطاع غزة

وباستشارة قائد الدفاع عن المدينة رفض تسليمها ، دون أمر من اللواء العجرودى قائد الفرقة الثامنة حرس حدود فلسطين . وبعد عدة محاولات ، أمكن الاتصال بالعجرودى الذى وافق على تسليم المدينة ، التى دخلتها قوات دورون فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ؛ حيث احتلت مقر الحاكم الإدارى العام ودور الحكومة ، وأعلنت حظر التجول والأحكام العرفية .

ملخص معركة خان يونس (١٦) (١٠.٥ ساعة فيما بين الساعة الحادية عشرة ليلة ٢ / ٣ نوفمبر والساعة التاسعة صباح يوم ٣)

أصبحت خان يونس بعد سقوط غزة بعد ظهر يوم ٢ نوفمبر ، محاصرة من جميع الاتجاهات ، وكان العدو قد قصف مركز قيادة الفرقة الثامنة حرس حدود فلسطين بالبلدة ، التي لم يكن بها مدفع واحد مضاد للطائرات ؛ مما جعل طائرات العدو توالى قصفها من ارتفاع منخفض فتشتعل بها الحرائق وتهدم المباني . وكان اللواء يوسف عبد الله العجرودى قائد الفرقة ٨ حرس حدود فلسطين ، قد عقد مؤتمراً فى الساعة السابعة والنصف من صباح ٢ نوفمبر فى مركز قيادته بخان يونس ، شرح فيه الموقف الحقيقى لمروؤسيه ، ثم أعلن عن عزمه على الدفاع والصمود حتى آخر طلقة ، وقد وافقه جميع مروؤسيه على ذلك ، وتواعدوا على القتال حتى النهاية^(١٧) .

وقبل منتصف ليلة ٢ / ٣ نوفمبر بنحو ساعة ، أطبقت دبابات العدو على البلدة من جهة الشمال فاشتبكت معها المواقع الدفاعية ، وتمكنت من تدمير دبابة واحدة وعربتين نصف جنزير . وبفضل الألغام المبعثرة التى زرعتها المدافعون عن البلدة على الطريق الأسفلتى ، لم يستطع العدو مواصلة الزحف فحول اتجاهه نحو التبة ٨٦ ذات الشهرة الكبيرة فى معارك حرب فلسطين ؛ حيث أبدى اللواء محمد نجيب و الرائد أحمد فتحى عبد الغنى بطل هذه المعركة من ضروب الشجاعة ما استحقا به الثناء العظيم .

غير أنه لم يكن هناك على التبة هذه المرة من يصمد فى وجه الهجوم مثلما صمد نجيب وعبد الغنى ، إذ سرعان ما احتلها العدو حوالى منتصف الليل ؛ ليتخذها قاعدة الهجوم على بلدة خان يونس ، التى راح يطرها بمدفعه وهاوناته .

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، استطاع العدو أن يفتح ثغرة فى دفاعات البلدة الأمامية ، وتمكن من اجتياح موقع كافور ، وثم أعقبه بفتح ثغرة ثانية من إتجاه رفع .

وفى الساعة الرابعة صباحاً ، انطلق العدو داخل دفاعات البلدة عن طريق الدرب السلطانى والشارع الرئيسى ؛ حيث أمكنه التغلب على نقطة قوية من فصيلة مدعمة بمدفع واحد مضاد للدبابات عيار ٦ رطل ، سرعان ما أزاحها عن طريقه ، واندفع نحو قيادة الفرقة الثامنة فوصلها فى الرابعة والنصف فجراً .

ولم يكن بهذه القيادة سوى اللواء العجرودى وبعض ضباطه وجنوده ، الذين ظلوا يقاومون عدة ساعات ؛ حتى وقعوا جميعاً فى الأسر فى الساعة التاسعة والنصف من صباح ٣ نوفمبر (١٨) .

وباستيلاء قوات دورون على مركز قيادة العجرودى ، تابع انهيار الدفاعات ، وإن ظل الأهالى يقاومون ببسالة داخل البلدة ، وفى حواجز التين الشوكى فلم يتمكن دورون من إحكام قبضته عليها حتى صباح ٧ نوفمبر .

وكانت هذه المقاومة الباسلة سبباً فى قيام العدو بالانتقام من الأهالى ، وقتل بعض الجنود والمدنيين الأسرى بطريقة وحشية (١٩) .

التعليق :

إلى جانب الطبيعة الطبوغرافية للقطاع التى لاتساعد على إحكام الدفاع عنه أو توفير العمق للقيام بالهجمات المضادة بالقوات والسييران ، فقد كانت القوات المكلفة بالدفاع عنه قليلة العدد ضعيفة التدريب ، تفتقر إلى العنصر المدرع والأسلحة الثقيلة ، نزولاً على أحكام اتفاقية رودس .

وزاد موقف القطاع حرجاً سقوط دفاعات رفح وتدمير طائرات مصر ؛ مما وفر للعدو سماءً لا يشاركه فيها أحد . فإذا أضفنا إلى كل ما سبق طول مواجهات المواقع الدفاعية ، التى تجاوزت ٢٠ كيلومتراً بالنسبة للواء ٨٦ حرس حدود فلسطين ؛ المسؤول عن تأمين جزيرة خان يونس الدفاعية ، ومنع العدو من اختراقها أو التسلل بين مواقعها الدفاعية ، وكذا مواجهة اللواء ٢٦ حرس وطنى التى لا تقل عنها ، وقد كان مسئولاً عن تأمين جزيرة غزة - ودير البلح الدفاعية ؛ لأدركنا الوضع البالغ الحرج الذى وجد اللواء العجرودى نفسه مسؤولاً عنه ، دون أن تتوفر له بارقة أمل فى الصمود .

إلاً أنه ربما كان من الأوفق الاعتماد على الكمائن والأعمال الفدائية ومناورات الضرب والهرب بدرجة أكبر ؛ لإحراق خسائر أشد بالعدو وإطالة أمد الدفاع عن القطاع الذى كان سقوطه فى نهاية المطاف مثل الثمرة الناضجة على الشجرة أمر لا يختلف فيه اثنان .

ورغم ذلك ، فلم يعدم القطاع من المدافعين من أبلى بلاءً حسناً وأبدى شجاعة وشهامه كانت محل التقدير والإعجاب ، وعلى رأسهم قائد الفرقة الثامنة ، وذلك الموقع الذي سقط أغلب أفراداه شهداء على مشارف مدينة غزة ، قبل أن يتمكن العدو بحكم تفوقه العددي والنوعي الساحق أن يجتاحه وكذلك أهالي بلدة خان يونس الشجعان .

obeikandi.com

توثيق الفصل الثامن

obeikandi.com

- (١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٨ .
- (٢) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٣٩١ .
وأيضاً :
Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 191.
- وأيضاً :
Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 552.
- حيث يذكر المؤلف أن مرجع التاريخ الرسمى الإسرائيلى عن معارك سيناء ، فى خريف ١٩٥٦ ، وصف قطاع غزة بأنه الأرض التى يصعب الدفاع عنها ؛ حيث تخلو من الهيئات الحيوية التى تحقق استقرار واتزان الدفاع .
- (٣) دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، الملف رقم ٣٠ ، خريطة أوضاع قوات الفرقة ٨ ، حرس حدود فلسطين .
- (٤) جامعة الدول العربية ، الإدارة العامة لشئون فلسطين : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الثانية ، ١٩٤٧-١٩٤٩ ، الوثيقة رقم ٣٦ ، اتفاق الهدنة العامة بين مصر وإسرائيل بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، باللغتين العربية والانجليزية ، الملحق رقم ٣ ص ٥٠٨ .
- (٥) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، الملف رقم ٣٠ ، خريطة أوضاع قوات الفرقة ٨ ، حرس حدود فلسطين .
- (٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٧٦ .
أيضاً المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٣-١٥٥ .
وأيضاً :
Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 191-192.
- وأيضاً :
Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 551-552.
- (٧) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصرى بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 551. (٨)

وأيضاً المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثاني ، ص ٣٩٧ ، وقد ذكر في هذا المرجع أنه أسقطت طائرتان وليست طائرة واحدة ، وذلك خلال يوم واحد نوفمبر .

(٩) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصري بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 191. وأيضاً :

(١٠) المصدر نفسه .

Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 551-552. وأيضاً :

(١١) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .

(١٢) يزعم الجنرال دايان في كتابه يوميات معركة سيناء بالصفحة ١٧٦ أن تل على المنطار حسب النصوص المقدسة ، هو الجبل الذي رفع شمشون إليه أبواب المدينة ، وإن كان الغالب تاريخياً أن شمشون كان يقطن بلدة شكيم المعروفة حالياً بنابلس ، والتي أخذت اسمها من الإمبراطور الروماني نيرون وهو المقطع الأول من اسم المدينة ، أما بوليس فتعني باللغة الرومانية البلدة .

(١٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .

المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص الحوادث عن عمليات القطاع المصري بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 552. وأيضاً :

(١٤) المصدر نفسه : نفس الصفحات .

Ibid, Same page.

المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص
الحوادث عن عمليات القطاع المصري بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

Burns, E.L.M., Lietenant General : Between Arab and Israel, (١٥)
(Beirut, The Institute for Palestinian Studies, 1969), pp. 183-184.

وقد ذكر كينيت لوف في كتابه The Twice Fought War بالصفحة ٥٥٢ أن
الإسرائيليين عاملوا الدجوى بكثير من الفظاظة ؛ انتقاماً للأحكام القاسية التي أصدرها
بصفته رئيس المحكمة العسكرية ، التي حاكمت جواسيس قضية لافون الشهيرة عام
١٩٥٤ .

(١٦) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص
الحوادث عن عمليات القطاع المصري بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 552. وأيضاً :

Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 192. وأيضاً :

أيضاً المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، ص
٤٠٠ - ٤٠٢ .

(١٧) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، وثائق حرب ١٩٥٦ ، ملخص
الحوادث عن عمليات القطاع المصري بفلسطين ، الملف رقم ٣٠ .

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) منهم ١١١ شهيداً فلسطينياً قتلهم جنود إسرائيل يوم ١٢ نوفمبر داخل معسكر رفح ؛
مما دفع الجنرال بيرنز رئيس مكتب الهدنة إلى التنويه بأن الإسرائيليين يقتلون
العرب ، الذين يعتزمون اغتصاب أراضيهم ، مثلما سبق أن فعلوه بدير يس عام
١٩٤٨ .

وقد قدرَ المستر هنري لا بويس الأمريكي ، مدير مكتب إغاثة اللاجئين الفلسطينيين
أن قتلَى العرب على يد جنود إسرائيل بلغ ٢٧٥ شهيداً . وكما شهد الكولونيل

ماكارتى عضو مكتب الهدنة بغزة ، ومعه المقدم حسن البدرى رئيس عمليات هيئة الاتصالات بقوات الطوارئ الدولية قبرا جماعيا فى منطقة بير لحفن ، دفن به عدد كبير من الجنود المصريين المكتوفين الأيدى ، وكان واضحا أنهم قتلوا بالرصاص قبل أن يهال عليهم التراب بالبلدوزر ، ص ٥٧١-٥٧٢ من كتاب *The Twice Fought War* .

الفصل التاسع

الجحيم فى الجفافة

مقدمة - الاستعداد للمطاردة - التدابير المصرية المضادة - الأوضاع الدفاعية
النهائية قبل وقوع العدوان

مقدمة

بعد أن اعتمد اللواء محمد عبد الحكيم عامر قرار توحيد الجبهة فى الساعة العاشرة من ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، تحول ميزان النجاح من درجة التشبث بدفاعات سيناء إلى سرعة الجلاء عنها ، قبل أن يعزل الغزو البحرى ، القوات عن قواعدها الرئيسية بوادى النيل .

والمعروف أن الإنسحاب أشق أوجه المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة ، لأنه يتطلب كفاءة قتالية عالية ، وانضباطاً رفيع المستوى ، بالإضافة إلى القدرة على سرعة التصرف المرتبطة برباطة الجأش والروح التعرضية الوثابة . ولهذا كان تعليق الرئيس عبدالناصر بمجرد أن وقع اللواء عامر القرار ، أن نوه بأنه أخطر وثيقة فى مواجهة العدوان .

وفى صباح الخميس ١ نوفمبر ، كانت مصر تقف وحيدة بين ثلاثة أعداء ، تعاهدوا على تدميرها . ولم يكن أمام الرئيس عبد الناصر غير الاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة ليطلب من أحدهما العون ، إلا أن الكرملين كان لديه مايكيفه من المشاكل فى بولنده والمجر ، فضلا عن أن وصول أى قوات منه إلى مصر سوف يتطلب اجتياز أراضٍ محايدة أو ممالئة للغرب ، ثم إن تدخل السوفيت كان أكثر احتمالا لاثارة حرب عالمية ثالثة .

وخشية من هذا الاحتمال الخطير ، تحولَّ عبد الناصر إلى البيت الأبيض فسلم السفير الأمريكى بالقاهرة المستر رايموند هير رسالة إلى الرئيس أيزنهاور ، يطلب منه المساعدة فى

هذه الظروف البالغة الخطر . فلما سأله السفير هل تعزم أن تتخذ رفض أيزنهاور مساعدتك مبرراً لطلب تدخل السوفيت ، أكد عبد الناصر أن ذلك لم يخطر له على بال^(١) .

وجاء رد الرئيس أيزنهاور صباح الغد ، مؤكداً أن الولايات المتحدة سوف تبذل كل وسعها لحل المشكلة فى الأمم المتحدة ، وأنها لاتستطيع الدخول فى حرب ضد حلفائها سواء الأنجلوفرنسيين أو الإسرائيليين .

وبهذا أصبحت سرعة سحب قوات مصر من سيناء ، هى الإجراء الملص لدرء الخطر وحماية نظام الحكم من الانهيار^(٢) .

الاستعداد للمطاردة

وكان الألف مشنيه بن آرى قد استلم قرب منتصف ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر رسالة مباشرة من الجنرال ديان بأن يبدأ المطاردة فى اتجاه الجفجافة بمجرد أن ينبلع ضوء الفجر ، وفى الساعة السادسة صباحاً كانت كتيبتا بن آرى المدرعتان تحتازان بير الحمة فى الطريق إلى بير روض سالم ؛ حيث توجد القاعدة الإدارية الرئيسية لقوات سيناء^(٣) .

وبمجرد اقتراب دبابات المقدمة من القاعدة ، وقعت تحت قذائف مؤخرة الفرقة الرابعة المدرعة التى كانت تستر ارتداد القوات من بير الجفجافة ، فحدثت عدة خسائر فى دبابات الطرفين ، قبل أن تتوقف المؤخرة عن الاشتباك ، وتبدأ الانسحاب للخلف بعد أن اتمت مهمتها فى تعطيل العدو^(٤) .

ودخلت قوات بن آرى القاعدة الإدارية حوالى الساعة السابعة ؛ لتغنم كميات كبيرة من الذخائر والملبوسات والأطعمة والوقود ، بينما استمرت مفرزة من تسع دبابات الضغط على المؤخرة المنسحبة ومطاردها صوب الجفجافة^(٥) .

وعندما وصلت الى مسافة ثمانية كيلومترات غرب بير روض سالم ، وقعت قوة المطاردة للمرة الثانية تحت النيران المصرية ، التى استمرت عدة ساعات وحطمت دبابتين ، فقطع آرى الاشتباك لقرب نفاذ الوقود ، وعاد بعد المغرب الى الخلف ليخلى جرحاه ويتزود بالوقود .

وشعر بن آرى من عنف النيران المصرية الأخيرة ان القوة المتمركزة لستر الانسحاب لن يزحزحها من مواقعها إلا ضربة مدرعة قوية جيدة التنسيق ؛ ولذا عكف فيما بقى من ساعات

الليل على رسم خطته لبدأ التحرك مع أول ضوء ٢ نوفمبر ، عازماً على اجتياح بير الجفجافة (٦) .

وقبل أن يصل إلى مضيق الجفجافة بنحو ساعة ، كانت المقاتلات القاذفة الإسرائيلية قد بدأت قصفه بالقنابل الشديدة الانفجار والنابالم حتى أحالته إلى كتلة من الجحيم ، الذي زادت نيران دبابات بن آرى ألسنته اشتعالاً قبل أن تقتحمه لتجده خالياً من قوات الفرقة الرابعة المدرعة ، التي كانت قد عبرت قناة السويس تحت جنح الظلام ؛ لتفتح في محلاتها الجديدة على الضفة الغربية (٧) .

ولم تكن نيران النابالم قد انطفأت بعد عندما استأنف بن آرى المطاردة نحو الغرب ، وقد أصبحت الشمس في أعين قادة الدبابات الذين فتحوا أغطية السطح ووقفوا يشاهدون الطبيعة الصخرية الوعرة للأرض حول المضيق ، وتقع أعينهم بين الفينة والفينة على عربة مدمرة ، أو مدفع ملقى على جانبه وقد انفجرت ذخيرته فقتلت طاقمه . ولم يغب عنهم ان كل هذا الدمار إنما فعلته طائراتهم في الصباح الباكر (٨) .



لقد فعلت طائراتهم كل هذا الدمار في الصباح الباكر

وقبل مخرج المضييق ، اصطدم بن آرى بحرس مؤخرة المجموعة الاولى المدرعة بينما الشمس تميل على خط الأفق فى الغرب . ودارت معركة قصيرة فى حساب الزمن شديدة فى كثافة النيران ؛ حيث أبلت فصيلة من الدبابات طرازات - ٣٤ ومدافع الاقتحام طراز اس / يو ١٠٠ بلاءً حسناً قبل ان تستأنف الانسحاب نحو القناة ليلة ٣/٢ نوفمبر ، تتبعها دبابات بن آرى حتى مسافة ١٠ كيلومتراً شرق القناة ؛ حيث توقفت طبقاً لاتفاقية التواطؤ التى قضت بالأى يقترب الإسرائيليون لأقل من عشرة أميال من القناة حتى يتركوا الشريحة الأرضية الكافية على استدادها القناة للغزو البحرى الأنجلوفرنسى الوشيك^(٩) .



التدابير المصرية المضادة

تتابع انسحاب عناصر الفرقة الثالثة المشاة على المحور الشمالى ، والفرقة الرابعة المدرعة على المحور الأوسط ، ومجموعة اللواء الثانى المشاة على المحور الجنوبى ، وعبور القناة عند القنطرة ، وكوبرى الفردان شمال الإسماعيلية ، والشط على الترتيب . وقبل فجر ٣ نوفمبر ، كانت تلك القوات قد بدأت فى تنظيم الدفاعات وإقامة التحصينات فى الضفة الغربية لقناة السويس ، بينما تولت مجموعة اللواء ٩٧ المشاة الاحتياطية ، وأربع كتائب من جيش التحرير الوطنى ، وسرية مهندسين عسكريين مسؤولة الدفاع عن بورسعيد^(١٠) .

وفى الوقت نفسه ، تابعت الفرقة الثالثة المشاة تحركها إلى القاهرة للدفاع عنها ، بينما عادت مجموعة اللواء الثانى المشاة إلى منطقتها الدفاعية فى الشلوفة ، ومعها اللواء ٤٢٦ من جيش التحرير الوطنى^(١١) .

واستأنفت الفرقة الرابعة المدرّعة ، ومعها الكتيبة ٢٠ المشاة العمل في الاحتياطي العام للقيادة الشرقية ، بعد أن نظمت قوتها في مجموعات تكتيكية ، انتشرت حول الحافة الشرقية للدلتا ، مسترة بالأرض المزروعة ، وهي على أهبة الاستعداد للانقضاض على قوات العدو من عدة محاور متعامدة على قناة السويس .

إلا أن القيادة العامة عادت وقررت سحب الفرقة الرابعة المدرعة إلى القاهرة ؛ لتعمل في الاحتياطي العام . وقد ترتّب على سحبها من احتياطي القيادة الشرقية أن أصبحت مؤخرة منطقة القناة خالية من أي احتياطات خفيفة الحركة ، كما أصبحت مشارف الدلتا مفتوحة أمام الأعداء إذا ما نجحوا في اختراق دفاعات القناة^(١٢) .

ولعلاج هذا الوضع ، قامت القيادة الشرقية بإعادة النظر في الخطة الدفاعية عن القناة ، على أساس المبادئ التالية: ^(١٣)

- ١ - تركيز الدفاع داخل جزر دفاعية ، ذات كفاية ذاتية قتالية وإدارية ، عد استحالة الاعتماد على القتال المتحرّك لعدم توفر عناصره الخفيفة الحركة .
- ٢ - تعزيز جزيرة بورسعيد الدفاعية ، وإعدادها لمواصلة الصمود كمنطقة مبنية ، تستطيع القتال من منزل إلى منزل لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة .
- ٣ - إنشاء خط دفاع ثانٍ عن منطقة القناة عند العباسية .
- ٤ - انتقال القيادة الشرقية من معسكر الجلاء بالإسماعيلية إلى الزقازيق ؛ حيث تفتح مركز قيادة ميدانياً هناك .

الأوضاع الدفاعية النهائية قبل وقوع الغزو الاتجولفرنسي ^(١٤)

كان تصميم اللواء على على عامر ينصب على ضرورة تأمين مدن القناة الرئيسية - بورسعيد والإسماعيلية والسويس - وتقسيم هيكل الدفاع عن المنطقة إلى ثلاثة قطاعات دفاعية على النحو التالي :

القطاع الشمالي

ويشمل منطقة قناة السويس من بورسعيد شمالاً إلى فايد جنوباً ، وقد خصصت للدفاع عنه وحدات حامية بورسعيد العسكرية، ووحدات حامية الإسماعيلية وفايد العسكرية كالاتي:

- ١ - وحدات حامية بورسعيد العسكرية ، وتشمل اللواء ٩٧ المشاة الاحتياطي ،
والكتيبة الرابعة المشاة ، وكتيبتي حرس وطني ، وبطارتين مدفعية ساحلية ،
وعناصر ساحلية ، وعناصر مدفعية ميدان ، ومدفعية خفيفة مضادة للطائرات .
- ٢ - وحدات حامية الإسماعيلية وفايد العسكرية ، وتشمل رئاسة الفرقة الثانية المشاة ،
ومجموعة اللواء السابع المشاة ، وكتيبة من مجموعة اللواء الثالث المشاة ، واللواء
٩٩ المشاة الاحتياطي ، وعشر كتائب من جيش التحرير الوطني ، والآي مدفعية
ميدانية ، والآي آخر مضاد للدبابات ، وثالث خفيف مضاد للطائرات ، ورابع
من المهندسين العسكريين ، وثلاث محطات اتصال جوي .

القطاع الجنوبي

ويشمل منطقة السويس من بير عديب جنوباً حتى فايد (خارج) شمالاً . وقد
خصصت لة مجموعة اللواء الثاني المشاة ، وكتيبة من مجموعة اللواء السابع المشاة ، واربع
كتائب احتياطية وأمن وحراسة وجيش التحرير الوطني ، وبطارية مدفعية ميدانية ،
وبطارتين هاون ثقيل ، وبطارتين مدفعية ساحلية ، وعناصر خفيفة ومتوسطة مضادة
للطائرات ، ومحطة اتصال جوي .

القطاع الغربي

وقد ركز مجهودة الرئيسي للدفاع عن منطقة العباسية ، وقفل محور تقدم العدو صوب
القاهرة ، مع إنشاء قاعدة داوريات مقاتلة بعيدة المدى ؛ للإغارة على خطوط مواصلاته
بالتعاون مع قوات القطاعين الشمالي والجنوبي سالف الذكر ، بالإضافة إلى العمل
كاحتياطي عام القيادة الشرقية لتنفيذ ما سوف تكلفه من مهام . وقد اشتمل القطاع الغربي
على مجموعة اللواء الثالث المشاة وأورطة دبابات خفيفة أ ٠٠م-إكس ، وتروب مدفعية ميدانية
وآخر مضاد للطائرات .

التعليق

لقد قيّم الرئيس عبدالناصر عملية انسحاب القوات من شبة جزيرة سيناء ، بعد أن
وضعت الحرب أوزارها فقال : . . . لم يكن في استطاعتنا أن تتم سحب القوات من سيناء

فى مدة أقصر ؛ فالواقع أن اتمام الانسحاب فى هذا الزمن الوجيز يعتبر معجزة ، فقد كانت القوات تسابق الزمن بالدقائق والساعات ، وليس بالأيام والأسابيع . ولو تأخر الانسحاب عن مواعده أربع وعشرين ساعة أخرى لوقعت الكارثة (١٥) .

ومن الجدير بالذكر أنه حتى بعد وقوع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، وانكشاف التواطؤ الثلاثى بما لا يترك مجالاً للشك ، أخذ اللواء عامر قائد عام القوات المسلحة - يصر على استمرار التشبث بدفاعات سيناء ، حتى أقنعه الرئيس عبدالناصر أن سيناء أصبحت أسبقية ثانوية بمقارنتها بمنطقة قناة السويس ، التى سوف تقع عليها الضربة الرئيسية بالقوات الأنجلوفرنسية ؛ لإعادة احتلال مصر ، وإسقاط نظام الحكم الثورى بالقاهرة .

وبالمثل ، فقد أبدى العقيد جعفر العبد نفس الرغبة فى أن يستمر بمجموعة لوائه فى التشبث بدفاعات رفح ، وراح يؤكد للواء عامر قدرة قواته على تحقيق ذلك ، حتى قام اللواء عامر بما سبق أن قام به الرئيس عبدالناصر معه منذ لحظات ، فأقنع العبد أن المسألة لم تعد سيناء بل مصر نفسها .

وقد ذكر الرئيس عبد الناصر فى تحليله لعمليات سيناء " إن الجيش وإن كان قد فقد نحو ٣٠ دبابة ت - ٣٤ خلال الانسحاب ، فإن الحساب الصحيح يقتضى بأن نعتبر أننا كسبنا ١٧٠ دبابة من المائتين ، اللتين كانتا على المحور الأوسط عندما صدر أمر الانسحاب العام ، لأننا لو تأخرنا بضع ساعات لضاعت دباباتنا ومعها ٢٥٠ عربة مدرعة ، كانت تعمل على المحور الأوسط .

أما خسارتنا فى اللوارى والعربات الميكانيكية.. فقد استعضنا أضعافها من المستودعات البريطانية فى منطقة القناة ، التى اعتبرناها من غنائم الحرب .

ومع ذلك .. فإن هذا الانسحاب العام لم يتم على الوجه الذى تقضى به الأساليب المعتمدة فى مدارس الحرب ، ومع وضع دقة الموقف وسيطرة طائرات العدو والقلق الذى أثاره اقتضاح التواطؤ الأنجلوفرنسى ، واشترابه فى العدوان على مصر موضع الاعتبار .. فإن تنظيم أعمال الانسحاب شابها كثير من المثالب ، التى زادت من الخسائر ، وغرست عدة مفاهيم خاطئة ، ظهرت آثارها السيئة بعد ذلك بعشر سنين ، عندما انسحبت القوات المصرية من شبه جزيرة سيناء فى فوضى شاملة ، فقدت خلالها أغلب عتادها وعدة آلاف من أعز شبابها أسرى وجرحى وشهداء .

obbeikandi.com

توثيق الفصل التاسع

obekandi.com

- (١) Op.Cit., The Twice Fought War, p. 557–558.
وأيضاً : المصدر السابق ، ملفات السويس ، ص ٥٦٦ .
- (٢) Ibid, p. 96.
- (٣) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٢٥ - ١٢٨ .
- (٤) Op.Cit., Elusive Victory, pp. 193.
- (٥) Ibid.
- (٦) Ibid.
- (٧) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر فى خريف ١٩٥٦ .
وأيضاً : Ibid, p. 177–178.
- (٨) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .
- (٩) Op.Cit., Elusive Victory, pp. 194.
- (١٠) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٧ - ٧٠ .
- (١١) المصدر نفسه : ص ٧٢ .
- وأيضاً : المصدر السابق ، سجل عمليات ١٩٥٦ ، رقم القيد ١٠٣٦ / ٦٦٣ ، يومية الحرب عن القيادة الشرقية المدة من ١٠/٢٩ إلى ١١/٨ / ١٩٥٦ .
- (١٢) المصدر نفسه : ص ٦٨ .
وأيضاً : المصدر نفسه .
- (١٣) المصدر نفسه : ص ٦٨ - ٦٩ .
وأيضاً : المصدر نفسه .
- (١٤) المصدر نفسه : ص ٧٠ - ٧٣ .
وأيضاً : المصدر نفسه .

obeikandi.com

الفصل العاشر

مدق المهالك ومعركة الشرم

مقدمة - طبيعة الارض - طبوغرافية مدق المهالك - أهمية منطقة شرم الشيخ - هيكل الدفاعات المصرية - استعدادات وخطط طارئة - سير الاقتراب - مجموعة بوشيه - مجموعة إيتان - معركة شرم الشيخ - تصرفات المحطات الاخيرة - الخطة الدفاعية الجديدة - ثم بدأ القتال - إعادة التنظيم - صد الهجوم الليلي الاول - وصد الهجوم الليلي الثاني - الجنرال ديان يلقي بثقله - وعند الضحى سقط الشرم - التعليق - تذييل .

مقدمة :

لم يشق على حكومة إسرائيل اختلاق المبررات لشن عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ، إلا أن ما شجر من خلاف بين حلفاء التواطؤ كشف عن زيف أغلبها ، قبل أن تتوقف النيران في المسرح ، بينما تولى عدد من القادة الإسرائيليين الكشف عن الباقي ، فيما نشره بعد الجولة من مذكرات شخصية ويوميات حرب ، ومنهم الجنرال أرييل شارون الذى ذكر صراحة فى كتابة ، أنه لم يصادف وكراً واحداً للفدائيين خلال زحفه الطويل فى سيناء على نحو ما ادعاه بيان حكومة إسرائيل الذى أذاعته فى الساعة التاسعة مساء ٢٩ أكتوبر ، من محطة « قول إسرائيل » ؛ أى « صوت إسرائيل » لتعلن على العالم أن هدفها من الأعمال الحربية فى سيناء ، هو القضاء على أوكار الفدائيين^(١) .

وبذلك يكون كل مازعمته إسرائيل من مبررات قد ظهر زيفه ، عدا تصميم إسرائيل على فتح خليج العقبة لسفنها وسفن الدول الأخرى ، التى تحمل البضائع إلى ميناء إيلات ، وكذا الرغبة فى توسيع رقعة إسرائيل التى عبر عنها الجنرال ديان بطريقة مباشرة ، عندما راح

يهنىء بن جوربون فى نهائة العءوان بالامبراطورية التى اصبحت تظل على بحرين ، بينما اءضاء الكنسىت وقوف يترنمون بنشىء هاتىكفا - الامل - ثم يعتمءون ضم سىناء الى اسراىل ، وقىام الامبراطورية التى سرعان ما اىفظهم من فرحتها الغامرة ، قرار مجلس الامل بالانسحاب من كل الارض التى اءتلت بالءءوان⁽²⁾

طبىعة الارض

يشكل خلىج الءبىة جزءاً من اءمق الفوالق بالقشرة الارضىة ، الذى يباء من شمال قرن افرىقىا ، ويمر بالبحر الاحمر وخليج العقبىة وواىى عربىة ومنطقة الغور ونهر الاءرن والبحر المىء وبعىرة طبرىة وبعىرة حمص ونهر العاصى ، حتى مشارف جبال عمانوس على حدود هضبة الاناصول .

وقء ترتب على ءءوء هذا الفالق العمىق فى الازمة السحقىة ، ان برزت الصخور النارىة على جانبى خلىج العقبىة ؛ لتشكل سلاسل بركانىة وجلامىء صخرىة ، ءحف بساحله الغربى حتى نكاء تطبق على مياهم فى كثر من المواضع .

وتمىىز تلك الجبال بجمال خلاب ، يشء الىه الانظار نظراً لتعدد ألوانها التى تظل ءغىىر بكل ءرجات الطىف ؛ ءبعاً لءرءة سىل الشمس ؛ حتى ءصىب زرقاء ضبائىة قرب الغروب . وىءخلل تلك السلاسل الوءىان والشعباب الكثرىة ، التى ءقءعها طولاً وعرضاً ؛ بما يجعل ءءرك بمءاذاة ساحل الخلىج او عموءىا علىه امراً ممكناً بكثر من المشقة والجهء ، لاسىما بىن رؤوس واءناق الزجاجة التى لا ءسءطىع اءءراقها سوى العرباء المءززة ؛ نظراً لكثرة الكشبان الرملىة وشراءع ءرءبىة الناعمة والخوانق الصاعءة والمنءءدرات الهابطة بزواىا ءاءة ، بىسءء جانبها الغربى على ءائظ صخرى قائم الزاوىة ءقرىبا ، بىنما ىنءءر الجانب الاءر فءأة الى قاع الواءى السحقى الذى ىحف بالءائق من جهة الشرق .

ولىس ماسبق هو كل ما ىصىب ذلك المءور بالوعورة السى اءسبءه صفة " مءق المءالك " ؛ فجلامىء الصخر الضءمة التى ءنءشر فى اءءائه ، والمنءنىاء ءاءة التى ءلفه ىمءة وىسرة ، وكأنها اءر لشعبان هائىج ، كل ذلك ىجعل السىر بقوة كبرى عبر تلك المءقات ، ضرباً من العذاب الذى ىشق على الجنوء ، وىجهء المركبات ، وىسءءلك الوقوء والزىوء بمءءلات عالىة ، وىفسء الاءزاء المءءركة بءراكم ذراء الغبار الءقىق على اسءعها .

ولم تكن القيادات غافلة عن هذا المحور ، فقد سبق استطلاعها بواسطة مجموعة كبيرة من ضباط قيادة قوات سيناء ، برئاسة قائدها اللواء أحمد سالم ، ومعه رئيس عملياته المقدم حسن البدرى ، وكذا المقدمين محمد يسرى قانصوه من هيئة عمليات القوات المسلحة ، وأحمد على عطية من سلاح المدرعات ، والمهندس عبد الرحمن عوف من سلاح الصيانة ، وقدمت تقريراً منفصلاً فى مطلع عام ١٩٥٥ ، نوهت فيه عن احتمال تقدم قوات العدو على هذا المحور ؛ لمهاجمة منطقة شرم الشيخ براً رغم شدة وعورة الأرض ، إلا أن زحمة الأحداث ، وقلة القوات المتيسرة حالت دون أن تنال تلك التوصية ما كانت تستحقه من الاهتمام .

وقد تحدث الألوف مشنيه إبراهيم يوفيه ، الذى وقع عليه عبء قطع هذا الطريق للهجوم على شرم الشيخ ، فقال فى إحدى مقالاته بمجلة بمأخيه الإسرائيلية ، إنه عندما تهباً لاجتياز قبر عطية ببداية الطريق ، أخذته مشاعر غامضة بما حدث لقوم موسى عليه السلام فى أرض جبال العجمه وأرض التيه منذ نحو ٣٥ قرناً ، وما نالهم من هلاك فيها نتيجة رفضهم دخول أرض الميعاد ما دام فيها القوم الجبارين ، فحدثته نفسه أن يقول لديان مثلما قالوا لنبينهم " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ثم يمضى يوفيه فى وصف ما صادفه من أهوال داخل مدق الهلاك ، حتى خرج منه قرب قرية نبق ، ولم يبق لديه شك فى أنه السبب فى هلاك القوم! (٣)

طبوغرافية مدق المهالك

يمر محور تقدم اللواء ٩ الميكانيكى من رأس النقب إلى شرم الشيخ بخمس مراحل من الأراضى ذات الطبيعة المختلفة والتضاريس المتباينة ، على النحو التالى :

- ١ - المرحلة الأولى من رأس النقب إلى عين الفرطاجة لمسافة ١٠٠ كيلو متراً تقريباً فى أرض رملية ، تسمح بالتحرك بسرعة ١٠ - ١٥ كيلو متراً فى الساعة ، ثم ينحدر المدق بعد عين الفرطاجة الغزيرة التى تتدفق سياهها بجوار المدق ؛ لتروى مساحات متناثرة من الحقول والبساتين الصغيرة الشديدة الخصوبة الوافرة المحصول .

- ٢ - المرحلة الثانية من عين الفرطاجة إلى نقب الشهيرة لمسافة ١٥ كيلو متراً ، يظل المدق يصعد خلالها التلال بزواوية حادة ؛ حتى يبلغ الذروة عند نقب الشهيرة الواقع على الطرف الشمالي لوادي الغايب . وتتميز الأرض في هذه المرحلة بالوعورة البالغة الشدة ، والرمال الشديدة النعومة ، وجملاميد الصخرالضخمة بما يهبط بمعدل التقدم إلى أقل من ٥ كيلو مترات في الساعة ، ويحصره في المجنزرات والعربات ٦ × ٦ والجيب ، ويجعل السير فيها نوعاً من العذاب .
- ٣ - المرحلة الثالثة من نقب الشهيرة إلى ذهب لمسافة ٥٠ كيلو متراً ، يظل المدق يهبط خلالها بزواوية أقل حدة نحو الجنوب الشرقي ، وتحسن التربة فتسمع بسرعة تتراوح بين ١٠ و ١٥ كيلو متراً في الساعة ، وتتباعدهم سلاسل الجبال عن ساحل الخليج عند قرية ذهب ، بعد أن كادت تلامس مياهه شمالاً ، لتترك سهلاً ساحلياً ضيقاً ، تنتشر فيه أشجار النخيل وبعض المزروعات .
- ٤ - المرحلة الرابعة من ذهب إلى نبق لمسافة ٧٠ كيلو متراً فوق وديان ذهب وكيد ؛ حيث يدخل المدق في مضيق كثير المنحنيات الحادة ، وجملاميد الصخرالضخمة والرمال الناعمة التي تنتشر على حافته .

أهمية منطقة شرم الشيخ

طرات أهمية منطقة شرم الشيخ بالنسبة للسياسة الإستراتيجية العربية عامة ، والمصرية على وجه الخصوص ، بمجرد أن وصلت قوات إسرائيل في الجولة الأولى إلى أم الرشرش على قمة خليج العقبة ؛ لتنشئ عندها ميناء إيلات كمخرج للدولة إلى البحر الأحمر ، وشرق أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا ؛ حيث اعتزمت تنشيط التبادل التجاري وفتح الأسواق للمنتجات المحلية الإسرائيلية .

ثم زادت المنطقة في الأهمية بإنشاء مكاتب مقاطعة إسرائيل ، والبدء في إحكام حلقات التعاون العربي لغرض الحصار الاقتصادي على إسرائيل ، التي كانت منطقة شرم الشيخ من أهم حلقاتها ؛ نظراً لسيطرتها الكاملة على مدخل خليج العقبة .

أضف إلى ما سبق ، وجود جونة طبيعية بالشرم ، تصلح لرسو السفن المتوسطة الحمولة ، وأرض هبوط يمكن تجهيزها لتعمل مطاراً حربياً لا بأس به .

إلا أن أغلب العباء وقع على مصر التي قامت باستئجار جزيرتى تيران وصنافير من المملكة العربية السعودية ، مقابل إيجار اسمى حتى تصبح مياه مدخل الخليج مصرية خالصة يحق لها السيطرة البحرية عليها . وبمجرد أن اكتسبت مصر هذا الحق القانونى ، قامت بقفل الخليج فى وجه الملاحه الإسرائيلية ، كما فرضت التفتيش البحرى على كافة السفن التى تطلب المرور فى المضيق ، فاكتسبت منطقة شرم الشيخ تبعاً لذلك أهمية سياسية وعسكرية كبيرة ، واستمرت الدبلوماسية المصرية تعلن أنه على المعارض أن يحتكم إلى محكمة العدل الدولية بلاهاى .

هيكل الدفاعات المصرية (٤)

ظلت منطقة شرم الشيخ تخضع للقيادة الشرقية ؛ حتى أمت مصر شركة قناة السويس ؛ فانتقلت بعدها إلى القيادة العامة بالقاهرة ، التى خصصت للمنطقة القوات التالية :

القوات البرية

الكتيبة ٢١ المشاه وكتيبة حرس وطنى من ٢٠٠ فرد ، وبطارية مدفعية ساحلية من مدفعين عيار ٦ بوصات بطى التعمير ، وتروب خفيف مضاد للطائرات ، وفصيلة حدود .

القوات البحرية

الفرقاطة رشيد ومسحطة أرصاد وإرشاد بحرى ، وكان الطراد البريطانى نيوفوندلاند قد أغرق الفرقاطة الأخرى دمياط ليلة ٣١ أكتوبر ، قرب المدخل الجنوبى لخليج السويس ، بعد اشتباك قصير بينهما بالنيان .

وتبلورت فكرة العقيد رؤوف محفوظ زكى قائد منطقة شرم الشيخ فى استمرار الاعتماد على مرابض نيان المدفعية الساحلية ، فى رأس نصرانى ، بقفل مدخل الخليج وتجهيز منطقة شرم الشيخ ؛ لتكون قاعدة إدارية وميناءً بحرياً ومهبطاً للطائرات ، مع الدفاع عنها بالقوات البرية المتيسرة ، وتكوين قوة خفيفة الحركة غزيرة النيان للتعامل مع جنود المظلات حيثما يسقطهم العدو .

أما الفرقاطة رشيد فكان عليها القيام بأعمال التفتيش البحرى ، وإيقاف السفن التى تحاول المرور عنوة داخل الخليج .

كما خصصت القيادة العامة مجهوداً جويماً لقوات شرم الشيخ ، وقامت بتطوير مطار الطور ؛ لتستخدمه المقاتلات والمقاتلات القاذفة ، التي تعمل في معاونة قوات شرم الشيخ وقت الحاجة .

وكلف العقيد محفوظ مجموعة سرية من الكتيبة ٢١ المشاة ، ومعها كتيبة الحرس الوطنى ، وثلاثة مدافع خفيفة مضادة للطائرات بالدفاع عن مطار شرم الشيخ والقاعدة البحرية المجاورة له ضد أى هجوم برى أو بحرى أو جوى يقع عليها ، ولم يكن حجم الأسلحة المتيسرة يسمح بأكثر من ذلك .

كما دفع العقيد محفوظ بفصيلة حدود إلى كل من جزيرتى تيران وصنافير ، وزود كل منها بمدفعين عيار ٢٠ ملميمتر بمهمة تدمير قوات الاقتحام الجوى ، التي يحاول العدو إسقاطها على الجزيرتين ، علاوة على المعاونة فى السيطرة على الممر الثانوى المسمى جرافتون خلال بحر العاشق

ووضع العقيد محفوظ سرية مظلات فى الاحتياطى العام للمنطقة ، التي زودها باكتفاء ذاتى مناسب .

واهتم العقيد محفوظ بفتح نظام للإنذار والمراقبة بالترتيب التالى :

١ - تروب حدود تم توزيعه على نقط إنذار فى طابا، وجزيرة فرعون ، وواسط ، ودهب ، ومرسى أم مريخة ، وصنافير ، وقد زود كل نقطة بالأسلحة الخفيفة والرشاشات ، وطلقات الإشارة ، ووسائل المواصلات السلكية واللاسلكية ، التي كانت على درجة سيئة لكثرة انقطاع الأسلاك ، والشوشرة الإلكترونية الناتجة عن صدئ الجبال .

٢ - الكتيبة ٢١ المشاة ، وقد دفعت نقط إنذار فى كل من نبق ، ووادى أساوية ، ورويسات النمر ، وصفرة العاط ، وجبل تريبز ، والرجلات ، وجبل عايدة ، ونقطة الارتفاع ١٠٥ ، وزودتها بالأسلحة الخفيفة والمواصلات السلكية واللاسلكية .

٣ - على امتداد الساحل السعودى .

وقد عقد الاتفاق مع الحكومة السعودية على فتح نقط إنذار فى كل من الشيخ حميد ، ورأس قصبه ، والقصبه مع فتح جهاز لاسلكى سعودى فى شرم الشيخ على نفس تردد نقط الإنذار السعودى ؛ لتلقى بلاغاتها عن الموقف أولا بأول .

استعدادات وخطط طارئة

ذكر الجنرال موشيه ديآن فى كتابه « قصة حياتى » أن أكثر مهام « قادش » الهجومية طموحًا كانت عملية مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى بقيادة الألوف مشنيه إبراهيم يوفيه ضد شرم الشيخ ، فرغم أنها جاءت آخر العمليات من حيث الترتيب الزمنى ، إلا أنها كانت أخطرها من حيث العواقب ، التى يمكن أن تترتب على فشل احتلال الدفاعات ، بينما احتمال عودة يوفيه من حيث جاء يقارب الصفر . ثم أكد الجنرال ديآن بأن فتح خليج العقبة للملاحه الإسرائيلية كان الشغل الشاغل للحكومة والهدف الأهم لعملية « قادش » ، بحيث أن عدم تحقيقه كان يعنى ضمناً فشل العملية كلها ^(٥) .

وبمجرد تعبئة اللواء فى منطقة حيفا شمال إسرائيل ، تحرك به يوفيه يوم ٢٨ أكتوبر صوب الجنوب إلى جوار حدود الأردن ؛ ليبتعد عن أنظار المصريين . وفى العاشرة من مساء ٣١ أكتوبر ، وصل الرتل شرق الكونتلا فى طريقه إلى رأس النقب ، التى كانت مجموعة من مهندسى الاقتحام وحامية إيلات قد أمتتها لمبيت مجموعة اللواء ٩ الميكانيكى ، عندما وصلها مساء يوم ١ نوفمبر ؛ ليجد أمر ديان قد سبقه هناك ؛ ليبدأ التقدم نحو شرم الشيخ .

وأعاد يوفيه تشكيل قواته فى رتل مسير ، تم تنظيمه فى مقدمة وقوة أساسية ومؤخرة كل من كتبية ميكانيكية ، كما دفع سرية الاستطلاع أمام القوة بنحو ٣٠ كيلومتراً ، بينما سارت كتبية مدفعية الميدان وبطارية الهاون الثقيل والتروب الخفيف المضاد للطائرات وعناصر الشئون الإدارية والفنية فى وسط الرتل ، الذى اشتمل على ١٠٤ عربة ٦ × ٦ ، و٣٢ عربة نصف جتزير ، ونحو ٦٠ عربة ٤ × ٤ ، وكان إجمالى القوة التى غادرت رأس النقب مساء ١ نوفمبر لاتزيد عن ١٨٠٠ فرد و٢٠٠ عربة من مختلف الأنواع ، وذلك لحرص يوفيه على التخلص من كل ما لا يلزمه فى مهمته من الأفراد والأسلحة والمهمات .

وحمل يوفيه معه كفايته من الذخيرة والطعام ، ومياه تكفى خمسة أيام بواقع ٥ لترات لكل فرد و١٠ للعبء ، ووقود وزيت لمسيرة ٦٠٠ كيلو متر .

ولم يكن يغيب على يوفيه استحالة إمداده بأية تعزيزات مقاتلة أو دعم إدارى ، خلال مسيرته الطويلة إلى شرم الشيخ ، التى كان عليه أن يعتمد على كفايته الذاتية القتالية والإدارية ؛ حتى ينجح فى إحتلالها وإعداد الميناء والمطار الموجودين بها لاستقبال السفن والطائرات ، التى سوف تحمل إليه المطالب ذات الأسبقية الحرجة .

ويطلب الجنرال ديآن فى قصة حياته فى الحديث عن أهمية الوقت ، وضرورة احتلال شرم الشيخ بغاية السرعة ، قبل أن يصدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقف العدوان أو فرض العقوبات على الدول الثلاث المعتدية ، وهو ما دفعة إلى إطلاق سهم جديد من جعبته بدمع وحدة مظلات من مجموعة اللواء ٢٠٢ بمر مستلا ؛ للهبوط فى مطار الطور واحتلاله ريثما تدركها برأ كتيبة من اللواء ١٢ المشاة ليتولى السجن الؤف روفائيل إيتان قيادة كل هذه القوات للهجوم على شرم الشيخ من جهة الغرب ، بينما تهاجمها قوات إبراهيم . من جهة الشمال .

سير الاقتراب (انظر الخريطة رقم ١١)

مجموعة يوفيه^(٦)

تركنا الالوف مشنيه يوفيه ولواءه التاسع الميكاني فى منطقة المبيت حول رأس النقب التى وصلها مساء ١ نوفمبر ، حيث أمره الجنرال ديآن بشد الزحال إلى شرم الشيخ بأقصى سرعة ممكنة .

وفى الساعة الخامسة من صباح ٢ نوفمبر ، بدأ يوفيه المرحلة الأولى من المسيرة حيث كانت الأرض رحيمة به ، فتمكن من التقدم بسرعة لابس بها إلى أن وصل إلى نعب الشهيرة حوالى الواحدة بعد الظهر ؛ ليبدأ أشق المراحل بالتحرك فوق مرتفع رملى يستحيل على غير العربات المجترزة أن تجتازه^(٧) .

وسرعان ما توقف الرتل بعد أن غاصت عجلات المدافع الميدان عيار ٢٥ رطل إلى محاورها . وبذل الجنود جهوداً خارقة للعادة لمعاودة التحرك ، بعد أن افرغوا بعض الهواء من الإطارات لتخفيف الضغط لأقل قدر ممكن . وبالمدفع والجذب والقطر أمكن استئناف الحركة بسرعة لاتتجاوز ٣ كيلو مترات فى الساعة .

ولم يصل الرتل إلى قمة المدق ، رغم هذا الجهد المضنى إلا عند مغرب الشمس ؛

حيث القى الجنود أجسامهم على الأرض ، وقد بلغ بهم التعب متناه ، فتركهم يوفيه مضطراً حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، عندما استأنف السير على المدق الهابط إلى الوادى بعد أن ترك ثمان عربات ، تعذر إخراجها من الرمال التي غاصت فيها حتى الرفارف .

ولم تكن العشرة كيلومترات التالية بنفس الوعورة ، لا سيما وأن زاوية انحدار المدق كانت لطيفة ، إلا أن التربة الهشة حدثت من سرعة الرتل الذي استغرق خمس ساعات كاملة ؛ ليصل إلى قرية ذهب على ساحل الخليج ، حيث توجد أكبر واحة خضراء في المنطقة ، تنفس عندها الجنود الصعداء (٨) .

وحدث عند مخرج الوادى غرب ذهب ، أول صدام بين رتل يوفيه ونقطة مراقبة الهجانة التي يشغلها عشرة جنود من سلاح الحدود وجهاز لاسلكى . وبعد تبادل بعض الأعيرة التي قتلت عدة جنود إسرائيليين ، تملك البعض سورة الغضب الجامح فقتل جنود الهجانة العشرة الذين وقعوا في الأسر رغم صيحات الاعتراض من زملائهم .

وتوقف يوفيه فى ذهب للمرة الثانية ؛ حتى يتيح لجنوده فترة راحة طويلة تحت ظلال الأشجار والنخيل وينابيع المياه العذبة ، وليقوم السائقون بصيانة وإصلاح العربات التي كانت فى مسيس الحاجة إلى أعمال الضبط والتربيط ، وإعادة التزود بالوقود والزيوت ، التي زاد معدل استهلاكها بسبب طبيعة الأرض الوعرة (٩) .

ووصل إلى يوفيه وهو لا يزال فى ذهب سفيتتا إبرار بحرى ، تحملان إليه الوقود الذي جاء فى مواعده ليسد نقصاً كبيراً ، لم يكن رئيس الشؤون الإدارية يتوقعه ، عندما وضع تقديراته عن الاستهلاك المحتمل .

فى السادسة مساءً ، أصدر يوفيه أمره باستئناف التحرك ، فقطع المرحلة الثالثة من المسيرة فى ثمان ساعات ، ووصل إلى وادى كيد فى الثانية بعد منتصف ليلة ٣ / ٤ نوفمبر ؛ حيث تحول المدق إلى مضيق لا يزيد عرضه على المترين ، ويصعد بزوايا حادة إلى قمة بالغة الضيق لا يمكن للعربات اجتيازها (١٠) .

وأطلق يوفيه مهندسية وجنوده ليفجروا الصخور ، ويزيحوا جلاميد الصخر حتى يسمح المضيق بمرور العربات . ولما فرغوا من هذه المهمة الشاقة ، استأنف الرتل السير حتى تورط فى حقل ألغام كان العقيد محفوظ قد أمر بزرقه ، ثم انهارت طلقات مدافع الماكينة والباذوكا

والقنابل اليدوية من نقطة الإنذار على مدخل الوادى ، فأجبرت القوات المتقدمة على التوقف والارتداد للخلف للاحتماء وراء انحناء الطريق . وبمجرد أن لاح الفجر ، دفع يوفيه جماعة استطلاع لتفتيش المنطقة ، وبعد أن نجحت فى اجتياز حقل الألغام دون أن تلحق بها خسائر تذكر وصلت إلى موقع نقطة الإنذار المصرية ؛ لتجدها خالية من جنودها ، الذين انسحبوا قبل أول ضوء ، وملأوا مخرج الوادى بالألغام المبعثرة ، ثم اندفع الرتل خارج الوادى فوصل قرية نبق حوالى التاسعة صباحاً ؛ حيث تركهم يوفيه يستريحون للمرة الثالثة عند ساحل الخليج حتى الظهر^(١١) .

ولم يعد يفصل يوفيه وجنوده عندئذ عن هدفهم بشرم الشيخ ، سوى أربعين كيلو متراً من الأرض الصالحة للتحركات ، بعد أن قطعوا ٢٥٠ كيلو متراً فى مدق المهالك خلال ثلاثة أيام وليلتين . وكان وقع وصول مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى إلى مشارف دفاعات شرم الشيخ من جهة الشمال ، مفاجأة شديدة للعقيد محفوظ ومرؤوسيه .

إلا أنه مثلما فاجأ يوفيه محفوظاً بوصوله من جهة الشمال ، فقد فاجأ محفوظ يوفيه بسابق إخلاء بمنطقة رأس نصرانى عندما وصلها ، وتدمير المدفعين الساحليين الموجودين بها على قواعد خرسانية ثابتة يستحيل نزعهما منها .

مجموعة إيتان^(١٢)

نجح السهم الذى أطلقه الجنرال ديان من جعبته ليستبق به الزمن فى احتلال منطقة شرم الشيخ ، من إتجاه الشمال والغرب فى وقت واحد .

فبينما كانت مجموعة يوفيه تستعد ضحى الرابع من نوفمبر لقطع المسافة الباقية بينها وبين شرم الشيخ من الشمال ، كانت مجموعة إيتان تستعد فى نفس الوقت لقطع ما بقى بينها وبين شرم الشيخ من الغرب .

وكان لوصول مجموعة إيتان إلى مشارف شرم الشيخ ، قصة لا تقل إثارة عن مجموعة يوفيه .

وقد كان ديان قد أمر يوم ١ نوفمبر بإسقاط سريتين من الكتيبة الثالثة المظلات فى مطار الطور ، بينما يستعد ألوف روفائيل إيتان للتقدم بسريتين أخيرين من الكتيبة الأولى المظلات ؛ لينضم برأ على المظليين الذين يتم إسقاطهم هناك .

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر ٢ نوفمبر ، كان المظليون قد استولوا على المطاز ، الذى سرعان ما أعدوه لهبوط ٢٥ طائرة نقل تحمل كتيبة مشاه من اللواء ١٢ المشاه ، وبعض الإمدادات من الذخيرة والأسلحة .

وفى فجر ٣ نوفمبر ، تقدم إيتان بسريرتى المظلات براً عبر وادى سدر ؛ حيث استولى على معسكر حقول البترول ، ثم واصل التقدم نحو بلدة الطور فبلغها عند الظهر ؛ ليبادر بضم كافة القوات الإسرائيلية الموجودة بالمنطقة فى مجموعة رتل واحد ، تقدم بها نحو شرم الشيخ فى نفس الوقت الذى كانت قوات يوفيه تغادر منطقة دهب فى طريقها إلى قرية نبق ، بينما الجنرال ديان يحلق بطائرته فوق رتل يوفيه ، يكاد يلهب ظهره لبذل المزيد من السرعة لحسم المعركة فى صباح الغد .

وفى وقت متأخر من عصر ٣ نوفمبر ، وصلت مجموعة إيتان إلى المدخل الغربى لمنطقة شرم الشيخ ، وفى أعقابها عربية الجنرال ديان الذى وقف على تل مجاور للمدخل ينظر إلى الجبال بألوانها التى تخطف البصر ، يحف بها البحر بألوانه الزمردية ، وكأنما مثذنة الجامع البيضاء تخرج من لجته لتصعد إلى السماء . . . ويقول ديان فى قصة حياته أنه لولا الحرائق وأعمدة الدخان السى كانت تلف المنطقة بسحاب كثيف لاعتبر هذا المنظر أجمل ما وقع عليه نظره (١٣) .

معركة شرم الشيخ :

بدأت الغارات الجوية على منطقة شرم الشيخ فى الساعة التاسعة من صباح ٢ نوفمبر ، ثم راحت تشتد عنفاً وكثافة ، واستمرت تطلق القنابل والصواريخ والنباليم ونييران الرشاشات على المواقع الدفاعية ، على امتداد الثلاثة أيام التالية (١٤) .

وقبل أن تغادر الطائرات المنطقة ، نجحت المدافع الخفيفة المضادة للطائرات فى إسقاط طائرتين من طراز المستير أمكن أسر أحد طيارها ، وإرساله على الفور فى مركب شراعى إلى القاهرة ضمن مجموعة من الجرحى والمرضى المصريين (١٥) .

ومع حلول الظلام ، جاءت طائرة الحرب النفسية المعتادة لتكرر ما سبق أن فعلته فى أم قطف ؛ إذ راحت تهدد الجنود بسوء المصير إن لم يبادروا بالاستسلام " بشرف " !

وفى صباح ٣ نوفمبر ، عادت المقاتلات القاذفة إلى المنطقة حيث نجحت فى تدمير

مدفعين من المدافع الأربعة المضادة للطائرات عيار ٣ بوصات برأس نصرانى ، كما حطمت الورشة الفنية ومحطة تحلية المياه ، وكل خزانات المياه العذبة^(١٦) .

وقبل آخر ضوء ، شاهد جنود شرم الشيخ أربع طائرات مستير ، وهى تنقض على المدمرة البريطانية كرين قرب مدخل خليج العقبة حيث كانت تقوم بمهام الدورية البحرية مع الطراد نيوفوندلاند ، وراحت كل الطائرات تقصف المدمرة المدهولة بشمانية وثلاثين صاروخاً أشتعلت فيها النيران . وأرسل العقيد محفوظ برقية إلى قائد القوات الجوية بالقاهرة يهنته بهذا الإنجاز العظيم الذى كان يظن أن الطائرات المصرية هى التى قامت به . ولم تنس الحكومة الإسرائيلية الاعتذار لحليفة التواطؤ عن هذا الخطأ غير المقصود ، الذى أودى بحياة الكثير من البحارة البريطانيين ، مثلما سوف يودى بعد ذلك بحياة العشرات من بحارة سفينة التجسس ليبرتى فى جولة صيف ١٩٦٧^(١٧)

ومنذ الساعة الحادية عشرة من صباح ٣ نوفمبر ، كان العقيد محفوظ قد تأكد من واقع برقية القيادة العامة التى وصلتة للتو ، ومما سبق أن أدلى به الطيار الأسير ، أن هجوما رئيسيا يتجمع حول نبق ؛ ليبدأ الزحف جنوبا تحت مظلة جوية كبيرة ، وأن مجموعة قتال أخرى فى طريقها إليه من جهة الطور ، فأرسل الفرقاطة رشيد السى لم تعد تلزمه إلى الساحل الشرقى للبحر الأحمر ؛ لتلجأ إلى إحدى موانيه بعد أن حشد على سطحها الجرحى والمرضى والمدنيين وغير المقاتلين ؛ ثم تأكدت أخبار تقدم العدو مرة أخرى من البلاغ اللاسلكى لنقطة مراقبة ذهب ، التى أفادت فى الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً أن العدو احتل القرية .

تصرفات اللحظات الاخيرة^(١٨)

عقد العقيد محفوظ مؤتمرا لضباطه ؛ لدراسة الموقف الجديد ، واتخاذ الإجراءات اللازمة حياله . واتفق الحاضرون على أن أبرز العوامل المؤثرة على موقفهم بشرم الشيخ أصبحت تتلخص فى الآتى :

- ١ - إن تقدم العدو من الشمال والغرب نحو شرم الشيخ ، مع وجود قطع الأسطول البريطانى قرب مدخل الخليج يعنى أن حصاراً كاملاً ، قد التف برا وبحرا حول المنطقة ، بينما طائرات العدو تملك السيادة الجوية فى سمائها .

- ٢ - إن استمرار توزيع قوات الدفاع على ثلاثة مواقع دفاعية منعزلة ، عن بعضها البعض فى رأس نصرانى وجبل عايدة وشرم الشيخ ، يعنى أن الدفاع سوف يكون ضعيفاً فى كل مكان .
- ٣ - إن قوة جبل عايدة المكلفة أساساً بالعمل ضد جنود الجو ، لم يعد هناك احتمال لإبراهيم فى المنطقة ، بعد أن إقتربت القوات البرية المتفوقة من الشمال والغرب .
- ٤ - إن تعرض المنطقة للحصار يجعل الميناء والمطار عديمى الفائدة ، إذ لن تتمكن أى سفينة أو طائرة مصرية من الوصول إليهما ، طالما ظل الموقف البحرى والجوى على ما هو عليه الآن .
- ٥ - إن الحل الأمثل لمواجهة هذا الموقف ، هو تجميع كافة القوات المقاتلة فى منطقة شرم الشيخ ؛ حيث تدار المعركة لآخر طلقة .

الخطة الدفاعية الجديدة^(١٩)

- وبمجرد أن انفض المؤتمر ، كان العقيد محفوظ قد رسم خطته الجديدة على أساس قبوله الحصار فى منطقة شرم الشيخ ، وإعادة تنظيم هيكل الدفاع على النحو التالى :
- ١ - موقع شرم الشيخ ، وتحتله الكتيبة ٢١ المشاة عدا سرية ، مع دفع فصيلة مشاه إلى المطار لتأمينه ، وفتح نقط ساترة كل بجماعة مشاه فى النقطة ١٠٥ ورأس نصرانى .
 - ٢ - الاحتياطى العام وقد احتفظ العقيد محفوظ بسرية مشاه ؛ للقيام بالهجوم المضاد فى اتجاه رأس نصرانى أو الطور طبقاً لتطور القتال .

ثم بدأ القتال^(٢٠) (٢٤ ساعة فيما بين العاشرة من صباح ٤ نوفمبر والعاشرة من صباح ٥ نوفمبر ١٩٥٦)

بلغ التمهيد النيرانى بالمدفعية والطائرات ذروته فى الساعة العاشرة صباح ٤ نوفمبر ، عندما اقتحمت مجموعة اللواء ٩ الميكانيكى دفاعات رأس نصرانى لتجدها خالية من الجنود .

وكانت المفاجأة شديدة الوقع على يوفيه الذى أضاع وقتاً ومجهوداً نيرانياً كبيراً ضد موقع ليس به أحد ، فبادر إلى إعادة تجميع قواته لمواصلة التقدم نحو شرم الشيخ .

ووصلت مقدمة يوفيه فى الساعة ١٢ ظهرا أمام النقطة ١٠٥ ؛ لتجدها محتلة بجماعة مشاه مدعمة بالرشاشات المتوسطة ، التى فتحت عليها نيرانها ؛ فأوقعت بالموجة الأمامية عدة خسائر .

وتوقف الهجوم لتأتى الطائرات ، وتقصف النقطة بنيرانها الكثيفة التى أوقعت بالجنود خسائر شديدة . ولما حاول المقدم حنا نجيب قائد الكتيبة أن يعزز النقطة بفصيلة مشاه ومدفعى ماكينة ، قصفت الطائرات أغلب جنودها ؛ كما دمرت المدفعين .

تم استأنف يوفيه هجومه فاستسح النقطة ١٠٥ حوالى الساعة الثانية عصرًا ليجد كل جنودها شهداء أو جرحى ، بعد أن عطلوا هجومه لأكثر من ساعتين . وبسقوط النقطة ١٠٥ تهباً للعدو مركز ملاحظة جيد لمراقبة الدفاعات المصرية بشرم الشيخ ؛ نظرا لارتفاع النقطة عن مستوى تلك الدفاعات .

وتابع يوفيه هجومه فى الثالثة عصرا ؛ ليقابل بنيران شديدة محكمة التصويب من السفوح الغربية للتلال ؛ فأضطر إلى التوقف ريثما تقوم الطائرات بالمهمة المعهودة . وتوالت الغارات بالقنابل والصواريخ والснаبالم ؛ فدمرت المخازن ومستشفى الميدان ، رغم علامة الهلال الأحمر المميزة على سطحه ، كما أشعلت النيران فى مخازن الوقود . واستمر الضرب الجوى حتى آخر ضوء ٤ نوفمبر ، الذى أوقع بالدفاعات دماراً كبيراً وخسائر بشرية شديدة للغاية .

إعادة التنظيم^(٢١) (انظر الخريطة رقم ١٢)

حل الظلام فراحت القوات المدافعة تصلح من شأنها ، وتعيد المواصلات الخطية التى مزقتها قنابل الطائرات ، بينما العقيد محفوظ يعيد النظر فى موقفه ، ويقرر تعديل الحد الأمامى للجانب الشرقى لدفاعاته حول طريق شرم الشيخ - رأس نصرانى ، بعد أن صار يشكل بروزاً يتيح للعدو فرصة تطويقه تحت جناح الظلام ، فقام بإعادة السرية التى تحتله نحو نصف كيلومتراً للخلف ، دون أن يشعر العدو بذلك .

وحتى لا تفقد القوات كل الذخائر الموجودة بالمخازن بالضرب الجوى ، أصدر محفوظ

تعليماته بتوزيع ما بقى منها سليماً على الأفراد ومرابض النيران ، فظلت حملات اليونيفرسال تؤدي تلك المهمة بكل إخلاص حتى بزغ ضوء الفجر .

وفى نفس الوقت ، كان الألوف مشنيه يوفيه يعيد تنظيم قواته ؛ ليشن بها هجوماً ليلياً على الدفاعات المصرية ، قبل أن تتاح لها فرصة تحسين أوضاعها ، أو الإفاقة من قصف واشتباكات النهار السابق ، لاسيما وأن معظم جنود اللواء التاسع الميكانيكى كانوا من المهرة فى القتال الليلى ، على عكس القوات المصرية التى تمجيده نهاراً .

صد الهجوم الليلى الأول : (٢١)

بعد أن أعاد يوفيه تنظيم قواته دفع مجموعة كتيبة ميكانيكية فى الساعة الثامنة والنصف مساءً ؛ للزحف على امتداد طريق رأس نصرانى شرم الشيخ ؛ بهدف اقتحام دفاعات السرية التى كان العقيد محفوظ قد أعادها نصف كيلومتر للخلف . فلما وصلت إليها الكتيبة المهاجمة ولم تجد بها أحداً ظن يوفيه أن الدفاعات انهارت وتركها جنودها ، فأمر بالتقدم العام نحو شرم الشيخ .

إلا أنها ما إن دخلت فى المرمى المؤثر ، حتى فوجئت بنيران الدفاعات تنصب عليها من كل ناحية ، فأوقعت بها خسائر كثيرة اضطرتها للتوقف ، وراح الجنود يبحثون عن سواتر يحمون خلفها من شدة النيران . وبعد مجهود شاق ، نجح يوفيه فى سحب الكتيبة للخلف ، ثم راح يعيد تنظيم قواته للمرة الثانية تمهيداً لهجوم جديد .

ولما أخطر العقيد محفوظ القيادة العامة بالقاهرة عن هذا الهجوم الليلى الأول تلقى برقية تهنته حارة ختمها القائد العام بالتصريح له بتدمير الأسلحة الثقيلة والمخزونات ، والتخلص من المعركة ، قبل أول ضوء ، إلا أن محفوظاً احتفظ بتلك البرقية التى حرص على ألا يُطلع عليها أحداً من مرؤوسيه ؛ حتى لا تؤثر على إصرارهم على مواصلة القتال^(٢٢)

وكان مما يلفت النظر أنه بدلاً من أن تحثه القيادة العامة على الاستمرار فى التشبث بالدفاعات خاصة - وقد كانت المعركة السياسية فى الأمم المتحدة ، قد قاربت أن تؤتى ثمرتها وتنجبر القوات المعتدية على وقف العدوان - إذ بالقائد العام يبط همته ، بل ويحضه على التراخى والتخلص من المعركة ، التى لم يعد أمامه سبيل واحد للتخلص منها !

صد الهجوم الليلي الثاني (٢٣)

قرر يوفيه أن يشن هذه المرة هجوماً ليلياً مدبراً ؛ ليحتل المنطقة الواقعة بين طريقى شرم الشيخ ورأس نصرانى ، وشرم الشيخ والطور . وبعد منتصف الليل ، دفع كتيبة ميكانيكية تحت ستر نيران المدفعية والهاونات ؛ لتتحم تلك المنطقة ، ولكنها سرعان ما تورطت فى حقول الألغام ، قبل أن تصل إلى مشارفها ، ثم انهارت عليها نيران الأسلحة الصغيرة بكثافة شديدة ، ومن عدة إتجاهات .

ونظراً لأن الأرض فى تلك المنطقة كانت مفتوحة ومنبسطة وخالية تماماً من السواتر . . فقد تكبدت الكتيبة الميكانيكية المهاجمة خسائر شديدة ، وقتل قائدها وستة من قادة جماعاتها ،^(٢٤) كما أصبحت غير قادرة على استمرار التقدم للأمام أو النكوص على الأعتاب .

وعندما بلغ الخطر مداه ، أصدر لها يوفيه الأمر بالانسحاب حوالى الساعة الرابعة والنصف فجر يوم ٥ نوفمبر ، كما أمر مدفعيته وهاوناته بمساعدتها بالنيران ، لتخلص من وضعها الحرج ، كما دفع قوة من الحاملات المدرعة للمساعدة

الجنرال ديان يلقى بثقله (٢٥)

اقترب الفجر ، وأصبح أمر إيقاف النيران أو فرض العقوبات على وشك الصدور من الأمم المتحدة بين لحظة وأخرى ، وأصر الجنرال ديان على احتلال مدخل الخليج قبل ظهر ٥ نوفمبر ، مهما كانت العراقيل . وكانت بلاغات يوفيه تثير قلقه بما تحمله من معلومات متناقضة تزف حيناً بشرى بدء إنهيار المواقع الدفاعية ، ثم تعود لتؤكد تماسكها ، بل ونجاحها فى صد وتحطيم الهجمات الإسرائيلية المتتالية .

وللتغلب على ذلك ، قرر الجنرال ديان الأتى :

- ١ - تركيز مجهود جوى بالغ الشدة فوق دفاعات شرم الشيخ ، بمجرد أن يبرز فجر ٥ نوفمبر .
- ٢ - تنسيق الهجوم على تلك الدفاعات من ناحية الشمال والغرب فى حركة كماشة قوية .

٣ - أن يسيطر رئيس الأركان العامة بنفسه على المعركة ، وخاصة معركة المظليين .
وفى أول ضوء ، كانت الطائرة تقل الجنرال ديان إلى الطور ، حيث امتطى إحدى العربات ، وتوجه بها إلى شرم الشيخ ؛ ليلحق بمجموعة قتال إيتان ، ويشرف على دفعها للقتال . ويذكر ديان أنه صادف بعض الجنود المنسحبين من شرم الشيخ وهو فى طريقه إليها ويقول إنهم لو فتحوا النيران على عربته الغزلاء ، لجعلوا جسمه مثل المنخل (٢٦) .



الجنرال ديان وإلى جانبه الألف
سمحونى وألوف مشنيه (العقيد)
ابرهام يوفيه أثناء قراءة أمر
بن جوربون للجنود الإسرائيليين
بشرم الشيخ

وعند الضحى سقط الشرم (٢٧)

جاءت المقاتلات القاذفة مع ضوء الصباح ؛ لتلقى حمولتها على المواقع الدفاعية ، التى لم يحظ جنودها بلحظة من الراحة أو الهدوء طيلة الليلة الماضية . وكانت الغارات هذه المرة من الشدة والإحكام بما دفع الجنرال ديان أن ينوه فى يومياته «بأن العنصر الحاسم فى سقوط الشرم كان السلاح الجوى الإسرائيلى» (٢٨)

وصاحب تلك الغارات تمهيد مدعى ، أحكمت نيرانه نقطة الملاحظة فوق التل ١٠٥ ، علاوة على نقطة ملاحظة أخرى جوية ، ولم يكن العقيد محفوظ يملك ولو مدفع ميدانى واحد ؛ ليرد به على تلك النيران ، التى استمرت تمزق دفاعاته حتى الساعة الثامنة صباحاً .

وكان الألف مشنيه يوفيه قد أرسل فى الساعة السادسة طائرة بايركب ؛ ليطلب من إيتان أن ينسّق معه الهجوم على الدفاعات ، بمجرد انتهاء فترة التمهيد النيرانى .

وفى الثامنة وخمس دقائق ، تقدمت مجموعة اللواء التاسع الميكانيكى نحو الجانب الشمالى للموقع الدفاعى ، والتفت حوله ؛ لتتجنب حقل الألغام الوقائى الذى يحميه ، ثم هاجمت الموقع الغربى بوادى خشبى من الخلف ؛ فتمكنت من الاستيلاء على المرتفعات الموجودة فى منتصفه ومؤخرته (٢٩) .

ثم وصلت مقدمة مجموعة قتال إيتان إلى نفس الموقع فى الساعة الثامنة والنصف ؛ حيث راحت تهاجمه من جهة الغرب ، فوقع الموقع بذلك بين فكى كماشة ، بقوة اللواء التاسع الميكانيكى من الشمال وقوة المظليين من الغرب ، وكلها داخل حاملات مدرعة نصف جنزير .

واستمر الموقع يبذل غاية جهده فى صد الهجوم حتى الساعة التاسعة صباحاً ؛ عندما تمكن الأعداء أخيراً من اجتياحه ، فانفتح الطريق على مصراعيه إلى قلب منطقة شرم الشيخ ، التى قام العدو بالاستيلاء عليها فى ضحى نفس اليوم ، بينما كان الجنود المصريون يصعدون الجبال المرتفعة ، وهم يطلقون بنادقهم على العدو ، وقد استمرت تلك النيران بصورة متقطعة حتى الظهر (٣٠) .

ووقع العقيد محفوظ ، وأركان حرب الرائد عبد القادر عيد ، والمقدم حنا نجيب قائد الكتيبة ٢١ المشاة ، ونحو ثلاثمائة من الرتب الأخرى فى الأسر ؛ حيث عاملهم الإسرائيليون بغاية الصلف والغلظة على خلاف ما تقضى به الأعراف العسكرية المرعية ؛ فكانت فترة الأسر فى شرم الشيخ - قبل نقلهم إلى معسكر الأسرى فى إسرائيل - مشحونة بالتحرشات والعنف الذى ليس له مبرر .

وبعث بن جوريون برسالة تهنته لجنوده قرأها عليهم الجنرال موشيه فى ناحية من أرض مطار شرم الشيخ ؛ حيث عقد الاحتفال بانتهاء القتال ، جاء فيها ما يلى: (٣١)

« لقد أتمتم أيها الجنود الشجعان أكبر عملية عسكرية فى تاريخ شعبنا وأكثرها فخاراً ، فبنجاح جيش الدفاع الإسرائيلى فى اجتياح دفاعات العدو ، استرجعتم لنا مملكة سليمان التى سوف تعود إيلات لتصبح ميناؤها الرئيسية فى الجنوب ، وتسترد تيران إسمها القديم « يوتفات » ، التى كانت تعرف به منذ ١٥٠٠ عام ، وتنضم إلى وطنها الأم - « إمبراطورية إسرائيل الثالثة » (٣٢) .

وبعد أن هتف الحفل ثلاثاً للإمبراطورية الجديدة ، استقل سمحونى الطائرة عائداً إلى تل أبيب ؛ حيث اعتزم أن يفرغ كل ما فى صدره من مشاعر ضد رئيس الأركان ، الذى دأب على التدخل فى شئونه ، وتوجيه الألفاظ الخشنة له ولرؤسياه ، إلا أن القدر شاء أن يكون سمحونى ومساعدته المقدم أشير دروم هما آخر ضحايا العدوان الثلاثى ، إذ أسقطت المدفعية الأردنية المضادة طائرته فوق بستال عجلون^(٣٣) ، وعثر بين حطامها على اوراقه الشخصية التى سجل فيها ملاحظاته ومشاعره .

وإذا كانت كلمه بين جوريون التى وجهها للجنود قد عبرت عن فرحة إسرائيل بنصرها العسكرى . . فإن صدمة الهزيمة السياسية التى جاءت بعدها ؛ لتجبر إسرائيل على النزوح عن كل الأراضى المحتلة بالعدوان ، جعلت تلك الإمبراطورية الثالثة اقصر الإمبراطوريات عمراً فى التاريخ .

التعليق :

أبدت الأركان العامة الإسرائيلية تفهماً كاملاً للعوامل السياسية ، المؤثرة على عملية الاستيلاء على مدخل خليج العقبة ، قبل أن يصدر قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار. فى المسرح ، أو قبل فرض العقوبات على من يمتنع من حكومات العدوان الثلاثى من الرضوخ له .

وعلى النقيض من ذلك تصرّف القائد العام المصرى ؛ إذ راح يحض العقيد رؤوف محفوظ على تدمير الأسلحة والمخزونات ، والتخلّص من المعركة التى لم يكن يتوفر لها منفذ واحد للتخلص منها ، إلا قبول الاستسلام والوقوع فى الأمر . وما من شك أن رسالة تحمل عكس ما حملته الرسالة الأولى ، كانت أوفق وأكثر ملاءمة للموقف السياسى والعسكرى الراهن ، ولو نجح محفوظ فى التمسك بدفاعاته حتى المساء ؛ لتغير مسار الأحداث وانقلبت الدائرة على العدو ، ولفاز جنود شرم الشيخ بالثناء والنصر العظيم .

ويبدو أن الصعوبات التى توقعتها القيادة المصرية لهجوم ، يأتى إلى منطقة شرم الشيخ من جهة الشمال ، جعلها تركز إلى استبعاده ، وهو ما دفع نفس الأركان العامة الإسرائيلية إلى القيام به رغم تأكدها من أن محور التقدم بالغ الوعورة ، وبدلاً من أن يدفعها ذلك الى صرف النظر عن التورط فيه ، فقد حثها على دفع مجموعة اللواء ٩ الميكانيكى ؛ لاجتيازه لما

سوف يحققه من مفاجأة الدفاعات المصرية من اتجاه ، لم تكن تتوقعه اعتماداً على أن تحقيق المفاجأة يضمن نصف النصر .

وكانت الأركان العامة الإسرائيلية مطمئنة إلى نجاح الهجوم على شرم الشيخ ، بعد أن تم حصارها من كل اتجاه ، وامتلكت طائرات إسرائيل السيادة الجوية في سماء المنطقة ، ولهذا فقد أسرفت في ذلك الدفاعات بقنابلها ، ونشر الدمار والنيران في كافة أرجائها ، قبل أن يبدأ الجنود اقتحام الدفاعات ، التي يكون القصف الجوي والبرى قد أنهك قواها وحطم معنوياتها وتجهيزاتها الدفاعية .

والواقع أن سلاح الطيران الإسرائيلي قام بالعيب الأكبر على نحو ما أكدّه الجنرال ديان في يومياته ، وسبقت الإشارة إليه ؛ فلولا نجاحه في السيطرة الجوية ، لما أمكن إسقاط المظليين لتجهيز مطار الطور لاستقبال كتيبة مشاة كاملة بطريق الجو ، ولما أمكن أيضاً لمجموعة اللواء ٩ الميكانيكي أن تحتاز مدق المهالك ، الا بخسائر فادحة ووقت أطول كان يكفي لإضاعة الفرصة على الأركان العامة لإنهاء المعركة قبل صدور قرار وقف النيران

ولا جدال في أن هدف عملية " قادش " الأول والأهم ، كان الاستيلاء على مدخل خليج العقبة ؛ لفتحه للملاحة الإسرائيلية وللسفن الأخرى ، التي تحمل البضائع إلى إيلات أو تنقلها من تلك الميناء إلى شرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا . ولا جدال أيضاً في أن عامل الزمن كان حاسماً وحيوياً ؛ إذ لم تكن الحكومة الإسرائيلية تستطيع مواصلة القتال ، بعد أن صدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقفه يوم ٦ نوفمبر ؛ فلو تمكنت قوات العقيد رؤوف محفوظ من الصمود حتى ذلك الوقت ، لدخلت التاريخ من أوسع أبوابه .



بن جوريون

يستعرض القوات الإسرائيلية في سيناء

إلا أن واقع الأمر أن محفوظاً ومرؤسيه لم يكونوا على علم بتطورات الموقف السياسي بالأمم المتحدة ، كما أن بريقيات القائد العام التي كانت تصلهم من القاهرة لم تكن تحت على مواصلة الصمود بل التخلص من المعركة . ومن هنا يظهر الضرر الكبير الذي ترتب على ذلك ، والذي كان أحرى بالقائد العام أن يسلك عكسه تماماً ؛ لاسيما وأن الموقف القتالي لم يكن يترك لقوات رؤوف محفوظ فرجه في الحصار المحكم حولها ، يمكن التسلل منها خارج حلقة الحصار .

ومهما كان عزم محفوظ على استمرار التشبث بدفاعه ، فليس ثمة شك في أن بريقيه القائد العام سالفة الذكر ، قد تركت ندبة في وجدانه ، خشية أن تكون الخسائر المترتبة على الصمود أفدح من الفوائد التي يجنيها منه ، وهو ما يؤكد أن تلك البرقيه خانها التوفيق .

وعلى الرغم من أننا سبق أن اقررنا بأن المارك والعمليات لا تكسبها الآمال والأمنيات ، إلا أن معركة سبقت في أقصى شمال المسرح إبان الجولة الأولى عام ١٩٤٨ كانت ظروفها الجوية والبرية شديدة الشبه بمعركتنا هذه في أقصى الجنوب ، بما يبرر عقد المقارنة بينهما ، حيث نجح أبطال الفالوجا على امتداد ١٢٥ يوماً من الحصار ، الذي كانوا يفتقرون فيه إلى الذخائر والأغذية والأدوية الطبية والأدوات الهندسية ، في أن يصمدوا لهجمات برية متفوقة ، وتحت سيطرة جوية كاملة . وفي يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، خرج أبطال الفالوجا وهم يحملون أعلامهم فوق الرؤوس ، وأسلحتهم على الأكتاف ، لتستقبلهم أمة العرب بالحفاوة والتقدير والامتنان ، ويسجل التاريخ بآلتهم على أنصع الصفحات ، على حين خرج جنود شرم الشيخ إلى الأسر ، والمعاملة الفظة ، والتحرش الذي ليس له سبب ، وشتان بين الموقفين .

تذييل

خمسون شيكل مع إيقاف التنفيذ

يششخار شدمى ييطش با' هالى كفر قاسم

مقدمة

لقد اتصف القتال على الجانب الإسرائيلي بالتجاوز في الوحشية ، والخروج على آداب الحرب ، والانزلاق في هذا الطريق إلى درك الإبادة الجماعية للأسرى المصريين والأهالي المدنيين .

وقد سجل الجنرال إيدسون بيرنز - رئيس لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية المشتركة - كثيراً من تلك الجرائم الدموية فى كتابه « بين العرب وإسرائيل » ، ومنها مذبحه كفر قاسم التى جاء ذكرها فى الصفحتين ١٩١ ، ١٩٢ ، ثم فى الصفحات ٣٠٣ - ٣٠٧ من كتابه سالف الذكر .

وفيما يلى موجز لأحداث تلك المذبحة على سبيل المثال لا الحصر .

ساعة الصفر

تتابع تحليق طائرات الداكوتا فى الجو ، وارتفعت عجلات الطائرة السادسة عشرة والأخيرة عن ممر قاعدة حاتسور الجوية ، بينما تتجه مقدمة هذا التشكيل الجوى نحو الجنوب الشرقى ؛ تعمية للأنظار عن المكان الحقيقى التى تقصده لإسقاط الكتيبة ٨٩٠ مظلات ، فوق المدخل الشرقى لممر متلا ؛ لتخلق الذريعة لحرب العدوان الثلاثى على مصر ، بافتعال حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس ، تعرض استمرار الملاحه فيها لخطر التوقف .

هكذا حدد الجنرال موشيه ديان ساعة الصفر لحملة قادش - الساعة الخامسة عصر الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، إلا أن القدر أراد لها أن تقع فى ساعة أخرى ومكان آخر .

فيما طائرات الداكوتا تسبح فى الجو ، كانت قرية كفر قاسم تسبح فى دماء ٤٩ شهيداً عربياً من أهلها فى مذبحه دموية ، تقع مسؤوليتها على عاتق مجموعة من ضباط إسرائيل بزعمامة العميد يشخار شيدى ، وتشكل وصمة عار لا تمحوها الأيام من سجل جرائم إسرائيل .

وبمجرد أن علمت الأركان العامة بمدى الجرم الذى ارتكبه أفرادها فى كفر قاسم ، فرضت رقابة صارمة على المذبحة ، إلى أن نشرت جريدة داكار فى السابع من ديسمبر ١٩٥٦ قصيدة للشاعر ناتان أولترمان ، أفصح فيها عن بعض الحقيقة حيث أنشد

بعد أن تكشفت لك رويداً رويداً . . .

تفاصيل تلك المذبحة الرهيبة . . .

بعد أن انتصب دافعها عارياً أمام عينيك . . .

هل راعتك تلك الهوة الرهيبة التى تفصل بين الحقيقة والأكاذيب . . .

- بعد أن علمت بهذا العمل الوحشى اللاأخلاقى
- وتفاصيله التى يأبى القلم أن يكتبها
- ليس بسبب الرقابة الصارمة المفروضة فحسب
- أيقنت أنتى لا ينبغى أن أكتب عن شئ غير هذا العمل الوضيع
- فلا يمكن أن يقوم مجتمع إنسانى تحدث فيه مثل تلك الوحشية
- دون أن يثور وجدانه وتسرى فى كيانه رعشة الغضب والحزى
- لاغتيال النساء والأطفال والمعجائز بلا مبرر
- إن من ارتكب تلك المجزرة لم يكن يخضع لعرف مساء منع التجوال
- ومنذ تلك الليلة السوداء والجريمة لا تزال قيد التحقيق
- بينما دم أبرياء كفر قاسم يضيع فى شقوق الأرض الموحلة
- وهكذا يصبح شعب إسرائيل شريكاً فى الجريمة
- صحيح إنها وقعت عشية الحرب وعلى حافة مسرحها
- ولكنها وقعت على الطرف الآخر من جبل المناجاة جبل الوصايا العشر التى أمرنا
- الله فيها ألا نقتل فقتلنا

تفاصيل الجريمة

بآيات تلك القصيدة ، بدأت خيوط المذبحة تتسرب إلى الصحف العالمية ، وتلفت نظر الضمير الإنسانى إلى ما حدث فى القرية العربية المنكودة . لقد بدأ الألوف يششخار شادمى يضع تعليمات الألوف زفى تسور قائد المنطقة العسكرية الوسطى ، موضع التنفيذ لتأمين عدوان إسرائيل على مصر ، والمحافظة على هدوء القرى العربية بقلب إسرائيل .

وطلب شادمى من تسور أن يطلق يده لفرض منع التجول ؛ فأعطاه كل الصلاحيات ليفعل ما يراه مناسباً . وعند الظهر دعى شادمى الرائد ملىنكى إلى مقر قيادته ، وشدد عليه بضرورة فرض منع التجول ، وبقاء السكان العرب داخل منازلهم اعتباراً من الساعة الخامسة مساء حتى السادسة صباحاً .

ثم أكد عليه أن يكون منع التجول حازماً ، وألا يتردد في قتل أى عربى ، يخالف هذا الأمر . . . ثم أضاف مبتماً . . . ' ولا تنس أن قتلهم أفضل من الزج بهم فى معسكر الاعتقال وما يترتب عليه من أعباء ' .

وسأل مليونكى . . . وماذا عمن يعود منهم إلى قريته ولا يعلم بمنع التجول . . . فرد شادمى . . . ' فلتخطفه الشياطين . . . فليس للعواطف الإنسانية مكان لذلك ' .

الموت خير دواء

وعاد مليونكى - وترجمة اسمه ' الصغير الوديع ' - إلى موقعه ؛ حيث جمع مرؤوسيه وأصدر لهم أوامره ، التى نصت على إطلاق النار على كل عربى ، يوجد خارج منزله بعد الخامسة عصرأ . . . وألا تجرى اعتقالات اقتصاداً فى التكاليف .

وأعلن مليونكى أن مختاير القرى سوف يُعلنون بحظر التجول فى الرابعة والنصف ، فتساءل مرؤوسوه . . . ' وماذا نفعل بالمصابين ؟ ' فأجابه ' لا تهتم بهم فالموت خير دواء لهم ' .

ثم تساءل آخر . . . ' وماذا نفعل بالنساء والأطفال ؟ ' فأجابه مليونكى . . . ' فليرحمهم الله ' .

ووقع مليونكى أمر العمليات بمداد أحمر ، ثم خرج المرؤوسون إلى القرى المجاورة ليخطروا مختايرها بحظر التجول . . . وكانت الساعة وقتذاك قد تجاوزت الرابعة والنصف من عصر ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وبمجرد أن وصل الملازم دهان كفر قاسم ، حاصرها بجنوده ، وشدد عليهم الأمر بإطلاق النار على كل عربى يخالف منع التجول رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً . ثم قسم مجموعته إلى عدة أقسام من ٣ - ٤ جنود ، وزودهم بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية والبازوكا والبنادق ، وتمركز كل قسم فوق ربوة ، تسيطر على مداخل القرية .



... ووضع الملازم دهان
كل قسم فوق ربوة تسيطر على كفر قاسم
...

وربض الرقيب شالوم عوفر وجنديان معه عند المدخل الغربى للقرية فوق مرتفع ،
يسيطر على الطريق القادم من الغرب ، بينما ربض العريف جبرائيل عولبال ، وثلاثة جنود
عند المدخل الشرقى ، ومعهم قاذف بازوكا .

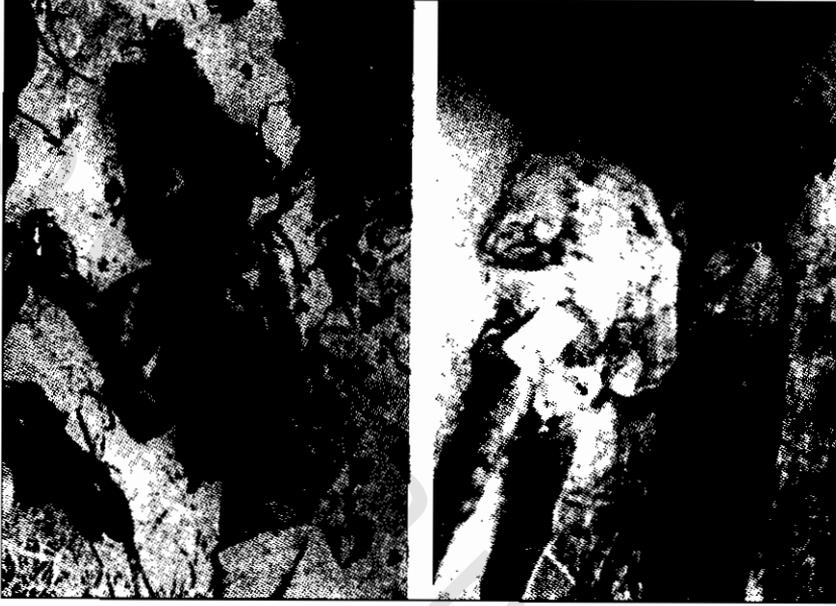
أما الملازم دهان وجماعته المسلحة بالرشاشات العوزى والبنادق والقنابل اليدوية
والخناجر ، فقد شكلوا دورية سيارة تطوف حول القرية . وجاء رجل من أقصى القرية
يجرى نحو دهان وعندما اقترب منه ظهر أنه مختار كفر قاسم ، وديع أحمد
صرصور . . . وراح يخاطبه وهو يلهث . . . أيها الملازم إن لنا ٤٠٠ من أبنائنا يعملون
فى الحقول والمصانع فى بتاح تكفا وعوسفية ويافا وغيرها . . . والساعة الآن الخامسة إلا
الثلاث ، ولا سبيل لإعلامهم بمنع التجول . . . فدعهم يمرون بسلام ليدخلوا بيتهم .

قتل جماعى

واتسعت الابتسامة الصفراء على شفتى دهان ، وهو يعد المختار صرصور بأنه سيتركهم
يمرون . . . ثم تتم بصوت خفيض . . . " قطعاً . . . سوف يمرون ولكن إلى الدار
الأخرة . "

وانصرف صرصور إلى بيته ، والشك يكاد يقتله . وعندما أشارت عقارب الساعة
إلى الخامسة بدأت طلائع الفلاحين والعمال تظهر عند مشارف القرية . . . ولم يكن
يشغل ذهن أى منهم ساعتها سوى دفء البيت وطيب الطعام بعد عمل يوم شاق . . .
فلم ينتبهوا إلا وصوت الرصاص يحصد جموعهم .

وفيما بين الخامسة والسادسة مساء ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، اغتال الملازم دهان وعصابته ٤٩ عربياً أعزل من السلاح بأعصاب باردة وقسوة بالغة .



وكان ممن اغتالهم دهان وعصابته سبعة أولاد وتسعة صبايا ...

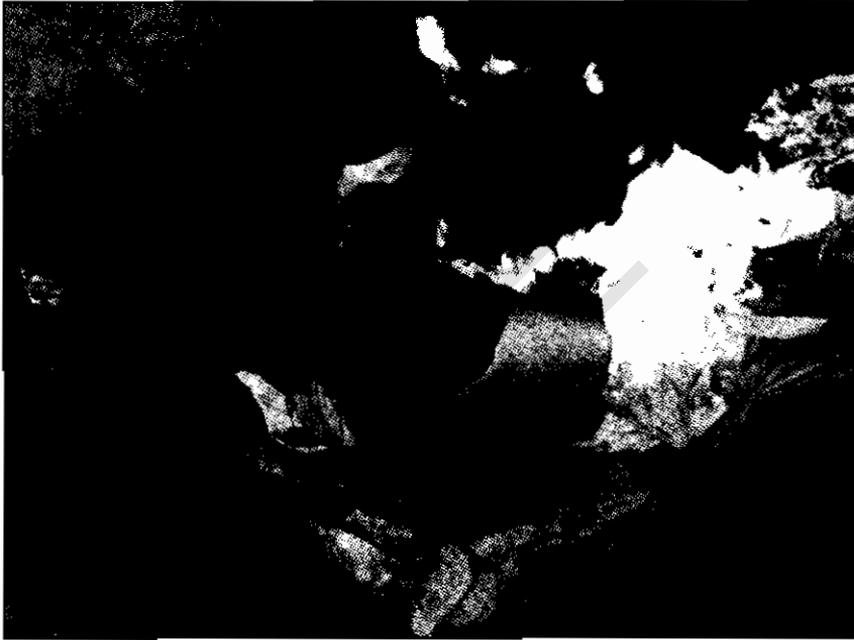
وكان من بين الشهداء ٤٣ اغتالهم دهان وعصابته عند المدخل الغربى للقرية ، سبعة أولاد وتسعة صبايا فى عمر الزهور ، وأربعة عشر كهلاً تجاوز خمسة منهم السادسة والستين كانت جريمتهم أن خرجوا فى الصباح الباكر لطلب الرزق ؛ فحصدتهم بنادق ورشاشات شامى وجنوده عند المساء ؛ ليضمنوا السرية لخطة قادش

وعلى الطرف الآخر من المسرح ، قرب جبل المناجاة الذى نزل عليه أول الوصايا العشر ، تأمر موسى عليه السلام وقومه ألا يقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق - كانت الحوامات الست عشرة تسقط ٣٩٥ جندياً فوق صدر الحيطان لىبدأ العدوان الثلاثى على مصر .

وخيم ستار كثيف على المجزرة ، حتى ظهرت قصيدة ناتان اولترمان فى جريدة دافار فى ١٧ ديسمبر ١٩٥٦ تقول :

إن دم أبرياء كفر قاسم يشق الوادى ويضيع فى شقوق الأرض الموحلة . . .

دم الشهيد فتحى عثمان ذى الاثنى عشر ربيعاً ، ودم الشهيد رياض حمدان ذى الثمانى سنوات ، ودم الأختين رشيقة ولطفية اللتين سقطتا ، وهما تحتضنان بعضهما ، وبتى العم فاطمة وزهرية وعمر الأربع لا يتجاوز ١٤ سنة ، ودم العجوز حلوة محمد بدير - ٦٠ سنة ، والشيخ سليم أحمد بشير - ٦٩ سنة - الذى صرخ فيه مليونى قاتلاً . . . انتصب حتى لا تضيع فيك رصاصاتى هباء " ، ودم الأرملة هنية التى أطارت رصاصات الملازم دهان جزءاً من جمجمتها ، فلما وقعت صريعة تتخبط فى دماؤها ، ركعت جنبها طفقتها اليتيمة صباح ، وهى تحاول عبثاً أن توقف نزيف الدم الذى ينفجر من قمة رأس أمها . . . ودم شهداء كفر قاسم الذكى الذى تسرب تلك الليلة ، وضاع فى شقوق الأرض الموحلة .



« إن دم شهداء كفر قاسم

ضاع فى شقوق الأرض الموحلة »

الشاعر الإسرائيلى ناتان اولترمان

خمسون شيكل مع إيقاف التنفيذ

وثار الرأي العام العالمي يطالب بالقصاص ... وتحت إلحاحه ، اضطرت الأركان العامة أن تقدم المجرمين للمحاكمة ... ولكن على مفضض . وخذل شادمي مليوني ودهان ليفلت بجلده ، فأقسم أنه لم يرخص لهم إطلاق الرصاص لقتل الأهالي العرب ... وصرخ دهان في وجهه " ... الآن تلبس جلد الأرنب المدعور ، وكنت عصر ذلك اليوم تختال كالأسد الهصور ؟ " واستمر عرض القضية عامين كاملين ، حتى صدر الحكم بسجن مليوني ١٧ عاماً ، ودهان ١٥ عاماً ، وبراءة باقى القتلة والسفاح الأكبر شادمي . إلا أن محكمة الاستئناف وجدت في ذلك الحكم قسوة ينبغي تخفيفها إلى ١٤ سنة للمليونى ، و ١٠ سنوات لدهان ، ثم جاء دور موشيه ديان ليصدق على الحكم فخفضه بدوره إلى ١٠ و ٨ سنوات .

وأدلى رئيس الدولة بدلوه في مسابقة التخفيف ؛ فجعل السجن ٥ سنوات لكل من القتالين ... أفلم يسبق له أن أعلن في خطابه يوم إقامة دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ " بأن العالم سوف يحكم على إسرائيل بمقدار تمسكها بالعدالة وموازنين القيم الإنسانية " .

ولم تقف المهزلة عند هذا الحد ، إذ وجدت لجنة مراجعة الأحكام الصادرة بالسجن تعسفاً يجب رفعه ، فعدلت الحكم على مليوني ودهان ليصبح غرامة ٥٠٠ خمسين شيكل - أى بواقع شيكل واحد لكل قتيل تقريباً - وخشية أن يكون في هذا الحكم إجحافاً بالرجلين فقد أمرت بوقف تنفيذ الغرامة ... فضاع دم شهداء كفر قاسم في شقوق الأرض الموحلة ، وأرسل الجنرال بيرنز إلى الدكتور همر شولد سكرتير عام الأمم المتحدة يقول له ... « لقد أثقلت إسرائيل ميزانها بدماء الضحايا العرب » .



.. لقد أثقلت إسرائيل ميزانها
بدماء الضحايا العرب ...
الجنرال الكندي إدسون بيرنز

توثيق الفصل العاشر

obeikandi.com

- (١) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ .
- (٢) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 637-641.
- (٣) مجلة بمحاربة ، عدد ١٣ أكتوبر ١٩٥٧ .
- (٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٢ - ١٥ .
المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٤/٣٥٤ ، خطة الدفاع عن خليج العقبة عام ١٩٥٦ .
- (٥) Op.Cit. : Story of Life, p. 213.
- (٦) وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٥٠٢ .
وأيضاً : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية : ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ .
- (٧) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 592.
Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 194-195. وأيضاً :
وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- (٨) Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 194-195.
وأيضاً : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ .
- (٩) Ibid.
وأيضاً : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .
- (١٠) Ibid.
وأيضاً : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .
- (١١) Ibid.
وأيضاً : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .
وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثي على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤٥-٤٧ .

Op.Cit. : Story of Life, pp. 211-211. (١٢)

وأيضاً : المصدر نفسه ، ص ٥٣-٥٤ .

Ibid. (١٣)

وأيضاً : المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .

(١٤) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .

وأيضاً : الإشارة اللاسلكية بتاريخ الساعة الحادية عشرة و ٤٥ دقيقة صباح ١٩٥٦/١١/٤ ، المرسله من القائمقام رؤوف محفوظ زكى إلى القيادة العامة بالقاهرة .

Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 198-200. : وأيضاً :

Op.Cit. : The Twice Fought War, 5. 594-595. : وأيضاً :

وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥١-٥٥ .

وأيضاً : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٥) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٤/٣٥٤ ، خطة الدفاع عن خليج العقبة عام ١٩٥٦ .

المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .

وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤١ .

وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٩٥-١٩٦ . وقد ذكر الجنرال دايان أن الطائرة التى أسقطت كانت من طراز المستير ، وأن الأخرى نجحت رغم إصابتها فى العودة إلى قاعدتها .

- (١٦) المصدر نفسه .
وأيضاً : المصدر نفسه .
وأيضاً : المصدر نفسه ، ص ٤١ .
- (١٧) الإشارة اللاسلكية بتاريخ الساعة التاسعة مساء يوم ٣/١١/١٩٥٦ ، المرسله من القائمقام رؤوف محفوظ زكى إلى القيادة العامة بالقاهرة ، ونصها كالآتى : « طائراتنا ضربت مدمرة بريطانية أمام رأس محمد قبل آخر ضوء اليوم ، قوات العقبة تشكركم تحيا مصر » بالملف رقم ٣٧/٥٧ ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ .
وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 594.
- (١٨) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤٢ - ٤٥ .
- (١٩) المصدر نفسه ، الصفحات نفسها .
- (٢٠) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، تقارير القوات المحاربة عام ١٩٥٦ ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .
وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٤٧-٥١ .
وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 594-595.
- (٢١) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥١ - ٥٢ .
- (٢٢) كان نص إشارة القائد العام القائمقام رؤوف محفوظ زكى كالآتى : « أقدر منك ومن جنودك البطولة والإقدام ، إذا لم تستطع الاستمرار حتى أول ضوء ، فإنى أمرك أن تسلم . تحياتى » . وقد استلمها القائمقام رؤوف فى الساعة العاشرة والرابع مساء ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، المصدر السابق ، الملف رقم ٢١٥١/٦ .
- (٢٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥٢ - ٥٣ .

Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 1991. (٢٤)

(٢٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢٠٣ - ٢١٢ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ ، حيث يقول الجنرال دايان فى الفقرة الثانية من تلك الصفحة : « لو فتح علينا الجنود المصريون المنسحبون من شرم الشيخ نيرانهم لجعلتنا طلقاتهم كالمنخل » .

(٢٧) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥٥ .

وأيضاً المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٢ ، حيث يذكر الجنرال دايان فى السطر الأخير أن دفاعات شرم الشيخ سقطت فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، بينما يذكر كتاب حرب العدوان الثلاثى أنها سقطت فى التاسعة صباحاً .

(٢٨) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٣ .

(٢٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٥٤ .

وأيضاً : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٢ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٣١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢١٣ .

Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 639. وأيضاً :

Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 589. (٣٢)

(٣٣) جريدة ها آرتس ، عدد ٩ نوفمبر ١٩٥٦ ، وقد ذكرت ضمن النعى أن عمره عند وفاته كان ٣٣ سنة .